الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم: التاريخ

مذكرة بعنوان

الجواري والعبيد في العهد الحفصي
من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة التاريخ
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتان:
* سليمة بالصالحة
* عواطف فرجاني

إشـراف الأستاذ:
د. سفيان قعيد

لجنـــة المنـاقشة

الاسم واللقب	الرتبــة	الجامعـة	الصفة
أ. د غانية البشير	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر	رئيسا
د. سفيان قعيد	أستاذ محاضــر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر	مشرفا ومقررا
د. حاج سعد سليم	أستاذ محاضــر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر	عضوا منـاقشا

السنـــة الجامعية: 2024/2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إلى من بُعث رحمة للعالمين...من بلغ الرسالة وأدى الأمانة نّبينا مُحَمَّد ﷺ.

إلى من حصدوا الأشواك عن دروبنا ليمهدوا لنا طريق العلم

إلى القلوب الكبيرة؛ أبويا الكريمين- حفظهما الله ورعاهما-.

إلى إخواننا وأخواتنا وكل من تربطنا بهم صلة رحم أو قرابة أو حبا وكرامة.

إلى أساتذتنا الكرام تقديرا واحتراما ودعاء يرفع درجاتهم في جنّات النعيم.

إلى من تقاسمن معنا أحلى الأوقات وأصعبها طيلة المشوار الدراسي صديقاتنا كل باسمها ووسمها.

إلى كل من رضي بالله ربّا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نّبيّا ورسولا.

نهدي هذا العمل.

سليمة بالصالحة **عواطف فرجاني**

شكـــر وعـرفان

لا يسعنا ونحن في آخر هذه المرحلة من التعليم إلاّ أن نتوجه بالحمد والشكر لله أولا وآخرا، الذي وفقنا وأعاننا على إتمام هذه الرسالة، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الذي تفضل بإشرافه على هذا البحث، ولم يتوان في إسداء النصيحة الخالصة والتوجيه القيم حتى تم العمل:

الأستاذ الفاضل " سفيان قعيد"

أدامه الله ذخرا لطلاب العلم.

كما يسرنا أن نقدم بأسمى عبارات التقدير والاحترام لأعضاء اللجنة المحترمين على تفضلهم بمناقشة العمل وتصويبه

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل الذين تفضلوا علينّا بالتوجيه والإرشاد وأعطونا من وقتهم الثمين

و كافة الزملاء الذين قدموا لنا يد المساعدة ولو بكلمة طيبة أو نصيحة دون أن ننسى واحدا منهم كل باسمه ووسمه.

ثم الشكر يتواصل لجميع من درسنا من الأساتذة.

سليمة بالصالحة **عواطف فرجاني**

قائمة المختصرات

الاختصار	الاسم الكامل
إ ش	إشراف
تق	تقديم
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تص	تصحيح
تع	تعريب
تع	تعليق
مر	مراجعة
تن	تنسيق
د.س.ن	دون سنة نشر
د.ط	دون طبعة
د.م.ن	دون مكان نشر
د.د.ن	دون دار نشر
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد
ع	عدد
ج	جزء
ط	طبعة

مقدمـــــــة

تعددت مصنفات النوازل والفتاوى الفقهية والتي تعد من المصادر القيمة لما تضمنته من مادة غنية في مجال الدراسات التاريخية والحضارية، ومن المصنفات الفقهية التي اشتهرت بالغرب الإسلامي كتاب جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام والمعروف بفتاوى البرزلي أبو القاسم بن أحمد المعتل البلوي المكنى بأبي الفضل الشهير بالبرزلي الذي يضم في ثناياه مادة علمية هائلة لا تتوقف على الجانب الفقهي بل تعدته إلى جوانب أخرى كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن أهم القضايا التي شملها الكتاب والتي شغلت العلماء والفقهاء والمؤرخين وهي قضية معاملة الجواري والعبيد في الغرب الإسلامي خلال العهد الحفصي وهي الفترة التي عايشها البرزلي.

إشكالية الموضوع:

ولمعالجة هذا الموضوع يمكن طرح الاشكال التالي:

كيف كانت وضعية حياة الجواري والعبيد من خلال كتاب فتاوى البرزلي؟

واندرجت عن هذه الاشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

- ماهي الأوضاع السائدة في العهد الحفصي؟
- كيف عوملت فئة الجواري والعبيد في العهد الحفصي؟
- ما أبرز المساهمات المقدمة من طرف الجواري والعبيد في الحياة العامة؟

أسباب اختيار الموضوع:

- التعرف على أحد المصنفات الفقهية الهامة ومحاولة الاستفادة منها في الدراسات التاريخية.
- الرغبة الشخصية في دراسة مثل هذه المواضيع.

أهداف الموضوع:

- التعريف بأحد علماء المغرب الإسلامي وتثمين كتابه.
- استبيان أن كتب النوازل تعد من أهم المصادر التاريخية.
- بيان أوضاع ومكانة الجواري والعبيد في العهد الحفصي.

الدراسات السابقة:

لم نقف حسب اطلاعنا على بحث كامل ومحكم تناول هذا الموضوع بحد ذاته ولكن وجدت بعض المؤلفات التي تناولت جانب من جوانب هذا الموضوع منها:

- الرق في بلاد المغرب والأندلس لعبد الإله بنمليح، والذي تناول فئة الجواري والعبيد ولكن لم يتطرق لها من خلال نوازل البرزلي.
- مجتمع المدينة ودولة السلطان بإفريقية البلاد التونسية في العهد الحفصي لإبراهيم جدلة و لكن لم يعتمد على نوازل البرزلي في دراسته.

منهج البحث:

لأجل تحقيق الأهداف المسطرة من البحث اتبعنا المنهج التاريخي باستعمال آليتي الوصف والتحليل، فالوصف اعتمدناه من خلال التعريف بالبرزلي وكتابة ووصف الجواري والعبيد أما التحليلي اعتمدنا من خلاله على جمع المادة التاريخية من النوازل وترتيبها وتوظيفها وفقا لخطة البحث وما يقتضيه السياق.

خطة البحث:

ولبلوغ الغاية المتوخاة من هذه الدراسة فقد سطرت خطة متضمنة مقدمة ومدخل وثلاث فصول تطرقنا في الفصل الأول التعريف البرزلي من خلال نشأته وأهم شيوخه وتلاميذه إلى جانب التعريف بالكتاب وبيان قيمته التاريخية، أما الفصل الثاني تناولنا فيه حياة

الجواري والعبيد خلال العهد الحفصي وأماكن جلبهم ونظرة المجتمع إليهم وخصص الفصل الثالث لدور الجواري والعبيد في الحياة العامة من خلال مساهماتهم في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع إعطاء بعض النماذج للنوازل البرزلي.

المصادر المعتمدة:

من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها هو كتاب جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام لأنه موضوع دراستنا ولأنه حوى أيضا على مئات المسائل المتعلقة بالجواري والعبيد، ومع هذا فقد استعنا ببعض المصادر والمراجع بما يكمل جوانب الدراسة ويساعد في تثمين الموضوع ومنها:

1- كتب النوازل:

- **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام المعروف بفتاوى البرزلي(841هـ/1438م)** لصاحبه أبي القاسم البرزلي حيث كان المصدر الرئيسي للموضوع واستخرجنا منه جميع النوازل المتعلقة بالجواري والعبيد.

2- كتب التراجم والسير:

- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:** لابن مريم محمد الشريف التلمساني(1020هـ/1611م) والذي ترجم فيه للعلماء والصالحين من تلمسان.
- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج:** للتنبكتي أحمد بابا(ت1036هـ/1627م) وهو كتاب ألفه في أعيان المذهب المالكي.

3-كتب الجغرافيا:

- **وصف إفريقيا للحسن الوزان:** المعروف لبون الإفريقي(ت957هـ/1552م) يصف معظم الجوانب والظواهر والآفات في المجتمع المغربي.
- **الروض المعطار في خبر الأقطار:**لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت866هـ /1462م) يصف المواقع والمدن والمناطق الجغرافية.

4-كتب التاريخ:

- **تاريخ بن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:** لعبد الرحمان بن خلدون (808هـ/1406م) وهو مؤسس علم الاجتماع ومصدرا مهما في تاريخ الغرب الوسيط وكذلك كتابه المقدمة.
- **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية:** للزركشي تحدث فيه عن تاريخ الدولتين.

5-المعاجم والقواميس:

- **لسان العرب:** لابن منظور (ت711هـ/1311م) شرح الألفاظ والمسميات.
- **محيط المحيط:** لبطرس البستاني لشرح المصطلحات.

المراجع:

- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م لروبار برنشفيك.
- تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال لمحمد الهادي الشريف.
- الرق في بلاد المغرب والأندلس لعبد الإله بنمليح.
- مجتمع المدينة ودولة السلطان بإفريقية لإبراهيم جدلة.

الرسائل الجامعية: وقد اعتمدنا على عدة رسائل ومقالات منشورة بالمجلات العلمية المحكمة والتي أفادتنا في موضوعنا منها:

- يخلف سامية، الأعياد والاحتفالات في الغرب الإسلامي من القرن 2هـ/9م إلى 9هـ/15م، رسالة ماستر، جامعة 8 ماي 1945، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، الجزائر.
- نوارة شرقي، لمحات من الواقع الثقافي للجواري في الغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين.

- **الصعوبات:**

ومن الصعوبات التي عرضت لنا في هذا البحث نذكر:

- صعوبة التعامل مع المادة النوازلية حيث أنها مادة فقهية بالدرجة الأولى، والتي تتضمن المصطلحات الخاصة بها التي يتعسر فهمها في كثير من الأحيان باعتبار التباين بين لغة العصر الوسيط ولغتنا في الوقت الراهن.
- صعوبة التعامل مع فتاوى البرزلي حيث يتطلب الوصول إلى اسم المفتي في بعض المسائل العودة إلى الخلف وتتبع الصفحات السابقة من الكتاب، لأن المؤلف لا يذكر اسم المستفتي في كل نازلة على حدة بل يسرده في الأول ويتبع ما يليه بقوله" وسئل أيضا".
- تكرار نفس النازلة في أكثر من باب من أبواب الفتاوى، فقد تذكر نازلة في باب الطهارة ثم تكرر في باب آخر من الكتاب.

وقد حرصنا من خلال هذا العمل على تقديم الإضافة بالنسبة لموضوع الدراسة حيث اتبعنا طريقة الوصف والتحليل والتجديد وفقا خطة رأينها أنها الأنسب لمعالجة الموضوع، ولم ندخر في هذا جهدا، فإن أصبنا فهو توفيق من الله عز وجل وإن أخطأنا فهو ضعف منا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخـــل

لمحــة تاريخية عن الدولة الحفصيــة

- أصل الحفصيين وتأسيس الدولة
- حدودها وأوضاعها
- سقوطها

1-أصل الحفصيين وتأسيس الدولة

1-1: أصلهم

يرجع أصل الحفصيين إلى جدهم أبي حفص عمر[1] الهنتاتي من قبيلة هنتاتة إحدى فروع قبيلة مصمودة[2]، وقيل أنهم ينتسبون إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وبفضل إنتساب الحفصيين إلى قريش وانتسابهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقرابتهم من الموحدين استطاعوا أن يكسبوا حكمهم صبغة شرعية[3]، ويعد الشيخ عمر بن يحي واحد من العشرة الذين اختارهم ابن تومرت[4] وولاه إمارة إفريقية فهو من المساندين الأوائل لابن تومرت فسماه بعمر وكناه أبا حفص الذي كان اسمه البربري الحقيقي فصكه ومزال[5]، وأسرع المصامدة إلى الإنظمام في صفوفه وكان لايزال شابا، فوضع فيه ابن تومرت الثقة في شخصه وكلفه بقيادة هنتاته، وقد كان للشيخ أبي حفص هذا الصوت الأعلى والمقام الأسمى في الدولة الموحدية توفي سنة 571هـ/1175م، تداول أبناؤه الإمارة في ولاية إفريقية أبا محمد

---

[1]- أبو بكر بن عبد الله بن أبي حفص عمر اينتي وهو جد الحفصين... ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب[من لندن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين][مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب] ط1، مطبعة الاستقامة،1368 القاهرة، هـ/ 1949م، ص262.

[2]- **مصمودة:** هي أعظم القبائل وأشدها قوة كانت السباقة إلى مبايعة بن تومرت...ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، د ط، دار الفكر، لبنان، 1421هـ/2000م، ص380.

[3] – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، ط14، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968م، ص301.

[4] – محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مؤسس الدولة الموحدية من أهل السوس، قبائل هرغة البربرية...ينظر: أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، د س ن، ص 65.

[5] – روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص42.

عبد الواحد الحفصي وأصبح من ذلك الحين أمر البلاد التونسية بأيدي الولاة الحفصيين إلى أن أعلنوا استقلالهم وانفصلوا عن الدولة الموحدية بالمغرب[1].

1-2: تأسيسها

أبو زكرياء يحي الحفصي(634هـ-647هـ/1237م-1249م)

يعتبر السلطان أبو زكرياء بن عبد الواحد الحفصي المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بالمغرب الأدنى الذي حكم ما يقارب العشرين عاما(626هـ-647هـ/1229م-1249م) فأعلن استقلاله بقطع الخطبة للموحدين واتخذها لنفسه سنة 626هـ/1229م ولم يلق أي معارضة تذكر باستثناء ابن غانية الذي قام بجمع الجموع ويدخل بهم إلى إفريقية وعبث فيها فسادا، فطارده أبو زكرياء يحي وقتله سنة 631هـ/1234م[2] حيث بنى جامع القصبة بتونس وصومعته الجميلة ونقش عليها اسمه، وأذن فيها بنفسه ليلة تمامها في رمضان وشيد المساجد والمدراس وابتنى سوق العطارين[3] وأصبحت البلاد طائعة تحت حكمه سنة 634هـ/1237م[4].

وكانت أيام الأمير أبو زكرياء خير الأيام وأكثرها سعادة وأدرّها أرزاقا، وأكثرها أفراحا، ونام الناس معه على مهاد العافية، والمدقق في تاريخ الدولة الحفصية يجد أن عصر السلطان أبو زكرياء[5] وابنه محمد المستنصر[6] من أقوى عصور الدولة الحفصية، توفي الأمير أبو

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشّماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر محمد المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص91، 92.

[2] – الزركشي، مصدر سابق، ص78.

[3] – حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تق تح: حمادي الساحلي، د.ط، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001م، ص90-92.

[4] – ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص382.

[5] – أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق تح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، د.ط، د، الدار التونسية للنشر، تونس، د.س.ن، ص143-144.

[6] – أبي عبد الله محمد المستنصر بالله بن الأمير أبي زكريا ولد سنة 625هـ وسمي بالأمير سنة 650هـ توفي 21 ذي الحجة 675هـ وهو من أبناء الأمير أبو زكريا، كانت الدولة الحفصية قوية في عهده ... ينظر: ابن قنفذ، نفسه، ص134.

زكرياء رحمه الله في ليلة الجمعة 27 جمادي الآخرة سنة647هـ/ 1249م وعمره 49 عاما[1].

ولقد تداول الكثير من الأمراء والسلاطين على الدولة الحفصية[2]

1-حدودها وأوضاعها

1.2 الامتداد الجغرافي: يسمى إقليم تونس بإفريقية ويحدها من جهة الغرب إقليم قسنطينة ومن جهة الشرق إقليم طرابلس، ومن الجنوب جبال الأطلس وإقليم الزاب وجزء من نوميديا وليبيا الشرقية أما في الشمال يحده البحر المتوسط[3].

ومن التسميات التي أطلقت على هذه المنطقة اسم المغرب الأدنى لموقعها الجغرافي، كذلك يسمى بإفريقية كان يشمل تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر[4] ينظر الملحق رقم (01).

2.2 أوضاعها:

1.2.2 الوضع السياسي والعسكري:

وقد لقب ملوكها « بالأمير» ثم « أمير المؤمنين» « وبلقب السلطان» وكانت أسماؤهم تذكر في الخطب وتنقش على السكة وكانت تتوارثه العائلة الواحدة والأمير هو رئيس الدولة والحاكم المطلق ولها مجلس استشاري يلقب رئيسه بـ (الشيخ الأعظم)[5]

---

[1] – ابن قنفذ، مصدر سابق، 146.

[2] – أحمد بن عامر، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، د.ط، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م، ص18.

[3] – عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـ /2005م، ص226.

[4] – أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2001م، ص12.

[5] – أحمد بن عامر، مرجع سابق، ص21.

وأما للقضاء طريقة أقرها أمراؤها تتماشى مع المذهب المالكي حيث يعقد مجلسها كل يوم خميس ويحضرها شيوخ وعلماء الإفتاء ويحكموا في النوازل المعضلة[1]، وحاجب يربط الصلة بينه وبين الرعية وثلاث وزراء يشرفون على دواوين حكومية منظمة[2]، يرجع بالنظر إليها في القضاء، والجيش والمالية وكذلك مأمور يسهر على نظام الأمن ويراقب الأسواق، ومدير للجمارك أو الديوانية يشرف على ديوان البحر، وكان مقر الحكم بالعاصمة(القصبة) وفيها يسكن الأمراء، وذلك الوقت لم يكن للبلاد علم وطني إنما كانت لها صناجق مختلفة الألوان والأشكال [3]، وكانت للمراسلات شعار أو علامة تكتب في أعلى المراسلات كرمز للسلطة الصادرة[4]، أما السكة عندهم تتكون من الدينار وهو من الذهب والدرهم من الفضة والحندوس من النحاس وقد اتخذوا بني حفص عملة خاصة بهم فتم صك الدرهم التونسي خلال القرن 7هـ/13م وقد قاموا بسبك أجزاء الدينار والدرهم في عهد المستنصر عملة نحاسية تسمى الحندوس سنة 660هـ/1262م[5].

من خلال الجانب العسكري فقد كان للجيش محل عناية الأمراء وكثيرا ما أفاضوا العطاء له، وكان متنوع العناصر ووافر العدد لأنه كان مكلف بالسهر على أمن الأمير وأمن البلاد وقد اعتبر بعض المؤرخين تنوع عناصره وكثرة عدده دليلا على الاحتياط للطوارئ، ومن أسلحة الجيش السيوف والرماح والنبال والخناجر و الصفائح والدبابيس[6].

[1] – محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في الغرب الإسلامي، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ص90.

[2] – أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية في العهد الحفصي، د.ط، دار المعارف، تونس، د س ن، ص18، 23.

[3] – روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص15.

[4] – أبي عبد الله الشيخ محمد ين أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية، تونس، 1286م، ص95.

[5] – لمارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي زبير، وآخرون، ج3، دار المعرفة، د.ط، الرباط، 1408–1409هـ/1988 – –1989م، ص23.

[6] – ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص97.

وكان الجيش ينقسم إلى قسمان: جند ملكي وهو حرس خاص بالأمير يتكون من فرقة للفرسان عناصرها مسيحون وفرقة المشاة تنوعت عناصرها وتغيرت فكانت من السود ومن سكان العاصمة ومن مهاجرين أندلسيين وأتراك وجميعهم مأجورون.

جند نظامي: يتكون من مشاة وفرسان وهو من الحفصين وعناصره من البربر وبجانب الجيش كان للدولة أسطول بحري قوي يسهر على أمن البلاد وأنشأت القصبات والمحارس والمعاقل والقلاع في كل من سوسة والمنستير وصفاقس والكاف وبذل الجيش جهده بالقضاء على معظم الثورات وبفضل ذلك عظم شأن الدولة[1].

2.2.2الوضع الاقتصادي:

شملت الحياة الاقتصادية ميادين الصناعة والفلاحة والتجارة من أهم الصناعات منها صناعة الصوف وحياكته وصبغه وكذلك صناعة الجلد أي دبغه وصنع البلغة والسروج[2] وكذلك عصر الزيتون وصنع الصابون وصناعة الحلفاء وظفرها وصناعة الخشب وصناعة العطورات والشمع والزجاج والفخار والحديد والغرابيل وصياغة الذهب والفضة كما وضعوا لكل صنعة سوق[3] وفي ميدان الفلاحة عنى الأمراء بالبساتين حول قصورهم وأقبل سكان الأرياف على الفلاحة وأما التجارة فقد اهتم الأمراء بشأنها وبذلوا مجهودات لترقيتها فقد تمثلت مواردها في أملاك السلطان الخاصة والضرائب المفروضة على الأراضي الفلاحية ومختلف المكوس التي تفرض على القبائل[4].

[1] – أحمد بن عامر، مرجع سابق، ص38–39.

[2] – أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص23.

[3] – أحمد بن عامر، مرجع سابق، ص98.

[4] – محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م، ص57، 60.

3.2.2 الوضع الاجتماعي والثقافي: كان الوضع الاجتماعي لدى الحفصيون تقوده قبائل وعشائر كهواره وأولاد دباب وهنتاتة التي هي إحدى فروع مصمودة، فهي صاحبة الأمر والنهي بالبلاد كما ذكر ابن خلدون الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ميلادي أن هذه القبائل تغلب عليها العصبة[1] فمنها من تعيش في الحواضر والمدن وأخرى في البوادي والأرياف كما تعددت الطوائف العرقية بها كبربر وعرب ونصارى ويهود وأندلسيين ورقيق هذه الأخيرة تعتبر العنصر الفعال لدى المجتمع الحفصي وشهدت ظهور طبقية بدءا بالطبقة الحاكمة إلى غاية العبيد[2] وقد حظيت المرأة بمنزلة هامة مقارنة بالمجتمعات الإسلامية الأخرى خلال القرون الوسطى حيث منحتها الحرية في اتخاذ القرارات من زواج وطلاق كما شجعتها على ممارسة بعض الأعمال والدليل على ذلك قصة البرزلي مع زوجته التي لم تسمح له بالزواج والسفر إلا بإذنها[3].

أما بالنسبة للوضع الثقافي فقد كان نشطا وكان التعليم يمارس في المدارس والمساجد كالمدرسة الشماعية والتوفيقية والمعرضية والمستنصرية وغيرها، أما الجوامع نجد جامع الزيتونة وجامع القصبة، كما برز بها فقهاء وعلماء كقاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن قاضي وأبي العباس أحمد بن محمد بن حسن الأنصاري وابن عرفة وابن خدلدون وشهد المذهب المالكي انتشارا واسعا حتى وصل إلى أبعد الواحات، كما عرفت ازدهار مدهش للزوايا والحركات الصوفية[4].

[1] – ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ج6، ص383.

[2] – إبراهيم جدلة، مجتمع المدينة ودولة السلطان بإفريقية البلاد التونسية في العهد الحفصي 1227م–1574م، د.ط، د.د.ن، د.م.ن، د.س.ن، ، ص249، 251.

[3] – أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح تق: محمد الحبيب الهيلة،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص18.

[4] – محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص59–60.

2-سقوط الدولة:

بالرغم مما حظيت به الدولة الحفصية بعز وسلطان ونفوذ إلا أنها لم تظل متمسكة بعظمتها وقوتها حيث قال ابن خلدون في المقدمة الشهيرة(إن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص) ويقول(في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع)[1] وتعاقب الدول سنة إلهية قال الله تعال: چۋ و و ۉ ۉ ې ې ې ې ۑ ۑ ئا ئا ئە ئە ئو ئو چ[2]

ومن أسباب سقوطها هو الصراع الداخلي على الحكم من أبناء البيت الحفصي[3] استقلال بعض المدن كإمارات مستقلة من عاصمة الحفصيين واعتمادها على المنهج التومرتي المنحرف ظهور الاضطرابات الداخلية، انتصاب الإسبان واستقرارهم في بعض المناطق الساحلية مثل حلق الوادي 1535م-1574م[4].

وقوع الدولة الحفصية بين دولتين قوتين هما إسبانيا غربا والعثمانيون شرقا، ظهور قوة إسلامية متمثلة في السلطنة العثمانية والتي استطاعت أن تهزم النصارى كذلك الهجوم من قبل القراصنة على السفن التجارية الآتية من أوروبا مما أدى إلى إضعاف الاقتصاد، فاستنجدوا بالعثمانيين الذين لبوا النداء وأصبحت الدولة الحفصية جزءا وأيالة من الدولة العثمانية وسقطت عام 982هـ-1574م.

[1] – ابن خلدون عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تح: أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2017م، ص164.

[2] – سورة آل عمران، الآية 140.

[3] – أحمد بن عامر، مرجع سابق، ص119.

[4] – محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص55.

الفصل الأول: الإمام البرزلي وكتابه جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام

المبحث الأول: ترجمة الإمام البرزلي

المبحث الثاني: التعريف بكتابه

المبحث الثالث: النازلة وأهميتها في الكتابة التاريخية

الفصل الأول : الإمام البرزلي وكتابه الفتاوى

المبحث الأول: ترجمة الإمام البرزلي

1- حياته الشخصية

1.1 مولده ونشأته

هو أبو الفضل بن أحمد بن محمد المعتل البلوي المعروف بالبرزلي القيرواني من أعلام المالكية في العصر الحفصي ويلقب شيخ الإسلام[1] أثبتت المصادر أن الإمام البرزلي قيرواني النشأة والأصل الشهير بالبرزلي نسبة إلى قبيلة بربرية اشتهرت في التاريخ بقبيلة[2] بني برزال[3] وهي بطن من بطون زناتة من بني يفرن كانوا يقطنون بأرض المسيلة والزاب والأسفل قدموا إلى الأندلس في الربع الأخير من ق4هـ بدعوة من الخليفة الأموي هشام بن الحكم الذي جمع حوله البربر واصطنعهم أولياء فكان منهم بن برزال[4] .

وينتسب البرزلي على قول ابن ناجي القيرواني[5]وهو أحد تلاميذه المنسوب إلى قبيلة (بلى[6]) العربية الشهيرة والأمر الذي لا نشك فيه هو ثبوت صحة اسم البرزلي لهذا الإمام الفقيه وسواء كان بربري الأصل أو عربي فإن الأمر لا يضيف شيئا لا ينقص من شأنه، فهو عالم فقيه مسلم قدم لأمته خير الزاد فكان كتاب الفتاوى، أما عن وسطه العائلي فقد ذكر محمد الحبيب هيلة أنه لم يعثر على شيء حول وسطه العائلي غير أنه عثر في ترجمة

---

[1] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص87.

[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص5-6.

[3] – **بني برزال:** بني برزال بافرقية وكانت مواطنهم منها جبل وسلات... ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص72-73.

[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص6.

[5] – أبو القاسم بن ناجي(ت 837هـ) من فقهاء القيروان كان متصلا بالبرزلي وأحد تلاميذه، اشتهر بكثرة تأليفه... ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج8، د.ط، مطبعة الترقي، دمشق، 1387هـ/1959م، ص110.

[6] – **بَلَي:** قبيلة عربية مشهورة ناحية الأندلس... ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج1، د.ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص489.

أبي يوسف الدهماني عن كتاب معالم الإيمان على ذكر رجل من المرابطين اسمه البرزلي يظن أنه جده وكان يعيش في القرن السابع الهجري بالقيروان.

ولد بالقيروان[1] سنة 738هـ/1337م وهذا حسب ما ذكره محقق فتاويه محمد الهيلة معتمدا في ذلك على تاريخ الوفاة وعلى رواية الزركشي في حين سكتت عليه أغلب المصادر[2] وأخرة اكتفت بذكر سنة وفاته مثل التنبكتي أشار بقوله" ...ورأيت في بعض التقاليد أن مولده على ماقال السخاوي في حدود الأربعين وسبعمائة..."[3] وهذا ما أكده كذلك محمد محفوظ فرأى أن سنة ميلاده(740هـ/1340م) أصيل مدينة القيروان حيث ولد في أسرة سكتت عنها المصادر[4]، نشأ بمدينة القيروان ودرس على يد فقهائها المعروفين فيها، وتقلد الإمامة والخطابة وتصدى للإفتاء وأنتج كتابه المشهور بفتاوى البرزلي، كما تولى الإفتاء بالقيروان[5] وقد وصفه بن مريم بـ" نزيل تونس ومفتيها وفقيهها وحافظها العلامة أحد الائمة في المذهب..."[6].

2.1 بيئته وعصره: لقد عاش البرزلي في عصر امتاز بعدم الاستقرار وحدوث اضطرابات سياسية وقد تداول في عصره أربعة سلاطين من حكام الدولة الحفصية وهم:

السلطان ابو البقاء خالد الثاني(770هـ-772هـ/1369م-1370م)

---

[1] – **القيروان:** وهي مدينة عظيمة جمعت بين طيب الهواء وعذوبة الماء وجميع المحاسن وهي أول مدينة عمرت في الأرض وكانت عظيمة البناء فيها الرخام الأبيض تماثيل هي أحسن بلاد الله فواكها وزروعا، كانت تضاهي بغداد وهي من قواعد الإسلام الأربعة، بغداد والقاهرة وقرطبة ...ينظر: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.س.ن، ص109.

[2] – البرزلي، مصدر سابق،ج1 ص7.

[3] - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الله الحميد الهرامة، ط2، دار الكتاب، طرابلس، 2000م، ص370.

[4] – محمود محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين،ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص87.

[5] – عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأسدي أبو زيد، الدباغ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: عبد الخيالي، ط1، د.د.ن، بيروت، 1426هـ، ص199.

[6] – أبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: محمد بن أبي شنب، د.ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1362هـ/1908م، ص150.

السلطان أبو العباس أحمد(772هـ-796هـ/1370م-1394م)

السلطان أبو فارس عزوز(796هـ-837هـ/1394م-1433م)

السلطان محمد المنتصر(837هـ-839هـ/1433م-1435م)

أي أن البرزلي عاصر النصف الثاني من حكم سلاطين الحفصيين[1] وقد عرفت تنوع وتعايش اجتماعي لمختلف الأجناس وسادها التفاهم والوئام[2].

2-حياته العلمية

1.2 رحلاته:

البرزلي في تونس: رحل بين سنتي 770/766هـ -1369/1365م[3] وكان سبب خروجه من مسقط رأسه القيروان للاستزادة في طلب العلم وتطلعه لنيل درجة أعلى ومقدار أرفع من العلم، ويبدو أنه في أول عهد وروده إلى تونس تولى خطبة جامع أريانة حسب ما ذكره ابن سلامة في تاريخه قائلا: وهاته البلدة(أريانة)[4] بها جامع قام به الجمعة خطيبا، وتولى مشيخة مشيخة المدرسة الشماعية بتونس والفتيا بجامع الزيتونة[5].

البرزلي في المشرق: رحل للحج سنة 799هـ وامتدت رحلته إلى سنة 800هـ وكانت رحلته على الطريق البري ومر ببرقة لذلك نجد في فتاويه أيضا بقوله : " ولما وردنا على أرض برقة مات من الركب ومرض شيء كثير" وذكر بنفسه قائلا على رحلته للحج قائلا: " قلت شاهدت عام حججت فيه وهو عام تسع وتسعين وسبعمائة وعام ثمانمائة نوعا مما قاله

---

[1]- محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواي، محمد محفوظ، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص601.

[2] - أحمد عامر، مرجع سابق، ص17.

[3] - البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص16.

[4] - **أريانة:** المدينة الفاضلة وهي كلمة عربية مشتقة من الأريان ومعناها الفائض من الخراج أي سكانها أهل فضل... ينظر: ابن منظور، فهارس لسان العرب، إع عبد الله علي كبير وآخرون، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.س.ن، ص85.

[5] - البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص19.

الشيخ..."[1] كما دخل الاسكندرية[2] واتصل فيها بالشيخ الصالح الورع أبي عبد الله محمد الدكالي[3] وبحث معه قضية خلافه مع ابن عرفة بتونس التي سببت خروجه منها وانتقاله إلى مصر وهي مسألة تتعلق بأخذ الأجرة على إمامته فناظره فيها، لقى كبار الشيوخ ثم تجول في فلسطين ودخل القدس، كما تنقل بين قرى الشام ثم أقام بمصر مدة وباحث فقهاءها[4].

إذا فالبرزلي كانت له رحلتان مميزتان في حياته فرحلة تونس جعلته يتصدر الخطابة في مساجدها ورحلة المشرق جعلته يحتك بكثير من العلماء والمشايخ الذين كان لهم الأثر الكبير في حياته[5].

2.2 شيوخه وتلاميذه:

1.2.2 **شيوخه:** مما لاشك فيه أن الإمام البرزلي حصل على علمه من عدة شيوخ يتعسر إحصائهم ولكن سنحاول ذكر الشيوخ الذين كان لهم الأثر الكبير في حياته العلمية.

- **أبو القاسم أحمد الغبريني(ت 772هـ/1370م):** هو أحمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس الغبريني نسبة إلى إحدى قبائل البربر في المغرب، وكان مفتي تونس وفقيهها وخطيب جامع الزيتونة[6] روى عنه البرزلي كثيرا في فتاويه ووصفه البرزلي:(... هو شيخنا الفقيه الراوية المفتي الصالح المسن أبو القاسم...)[7]

---

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص20–21.

[2] – **الاسكندرية:** هي العاصمة الثانية بمصر وكانت عاصمتها قديما وهي أكبر مدنها تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط..ينظر: الزهري، مصدر سابق، 46.

[3] – أبي عبد الله محمد الدكالي: من أئمة الاسكندرية وعلمائها شيخ صالح اجتمع به البرزلي في رحلته إلى الحج التي زار فيها 800هـ وناظره في مسألة اخذ الأجرة... ينظر: أبي عبد الله محمد الانصاري، فهرست الرصاع، تح: تع محمد العنابي، دط، المكتبة العتيقة، تونس، د.س.ن، ص72.

[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص20–21.

[5] – محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، إخ: عبد المجيد جبالي، ج1، ط1، دار دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص72.

[6] – التنبكتي، مصدر سابق، ص104.

[7] – بدر الدين محمد بن يحي بن عمر القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003م، ص46.

- **أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى التلمساني الشهير بالخطيب(ت781هـ/1380م):** من أكبر فقهاء المغرب فدرس على يده البرزلي قرأ عليه شيئا من الصحيحين والشفا والشاطبتين ولقد أجازه إجازة عامة[1].

- **أبو عبد الله بن يوسف البلوي الشبيبي القيرواني(ت 782هـ/1380م):** كان أول شيخ يأخذ عنه البرزلي حيث قال عنه:(... أول شيخ فتحت الكتاب عليه وأفتيت بين يديه ...) أخذ عنه القراءات السبعة وغيرها مثل الحديث والفقه والفرائض والنحو والحساب والتنجيم[2].

- **أبو الحسن محمد بن أحمد بن موسى البطرني الأنصاري(793هـ/1391م):** محدث فقيه متصوف أنابه ابن عرفة في خطابة جامع الزيتونة عند رحيله إلى الحج وكان للبرزلي له علاقة وذكره عدة مرات في فتاويه[3].

- **أبو عبد الله بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي(ت 803هـ/1401م):** تخرج على يده جماعة من العلماء من بينهم البرزلي أشهر فقهاء عصره وأعلمهم قال عنه البرزلي: (... قرأت عليه سنين كثيرة ما تنيف عن الثلاثين سنة وقرأت عليه بعض مسلم وسمعت عليه جميعها وجميع البخاري والموطأ ومن لفظة جميع الشفا وعلوم الحديث لابن الصلاح وجميع التهذيب مرار... وقرأت عليه مختصره في المنطق...ومختصره الفقهي وأجازني بكل ما يحمله ويرويه...) وكان يعتمد عليه كثيرا في فتاويه[4].

2.2.2 تلاميذه: من خلال مكانته العلمية المرموقة توافد عليه الكثير من طلاب العلم منهم:

- **أبو القاسم بن ناجي أبو الفضل(ت837هـ/1434م):** كان شديد الاتصال بالإمام البرزلي وكثير الاستفادة منه،[5]، ويعتبر أبو القاسم بن ناجي أقرب تلاميذ البرزلي إليه

[1] – التنبكي، مصدر سابق، ص369.
[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص9.
[3] – التنبكتي، مصدر سابق، ص461.
[4] –البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص11.
[5] – نفسه، ج1، ص37.

فقد لازمه في دروسه وسمع عليه فنونا متعددة من العلم،[1] هذا كان من التلاميذ المقربين للشيخ البرزلي.

- **عمر بن محمد بن عبد الله الباجي**(884هـ/1444م): اختص الرصاع في فهرسته أنه تتلمذ على البرزلي[2] المعروف بالقلشاني تولى قضاء باجة وقضاء الجماعة بتونس[3].
- **أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر(852هـ/1449م):** شهاب الدين أبو الفضل من أشهر أبناء عصره في الحديث والتاريخ اتصل بالبرزلي وأخذ عنه خلال رحلة البرزلي للحج[4].
- **عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري(875هـ/1470م):** وهو الإمام الزاهد الناصح لله أخذ عن البرزلي فنون عديدة عند إقامته بتونس[5].
- **محمد بن قاسم الأنصاري المشهور بالرصاع**(894هـ/1489م): أبو عبد الله التلمساني الإمام بجامع الزيتونة اتصل بالبرزلي فدرس على يده فنونا عديدة وتحدث عنه كثيرا في فهرسته له عدة تآليف[6].

---

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص37–38.

[2] – الرصاع، مصدر سابق، ص63.

[3] – التنبكي، مصدر سابق، ص 305–307.

[4] – الحافظ بن حجر العسقلاني، فتاوى في العقيدة، تح: محمد تامر، ط1، دار الصحابة للتراث، د.م.ن، 1989م، ص6.

[5] – عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف، أبي زيد الثعالبي المالكي، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، ص9.

[6] – شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، د.ط، دار الجبل، بيروت، 1992م، ص287–288.

3-وفاته

بالنسبة لتاريخ وفاته وجدنا اختلافات حيث ذكر الزركشي وصاحب شجرة النور الزكية بأنه في حدود سنة 841هـ/1438م[1] في حين أفادنا الرصاع أنه قد وافته المنية في 25 من ذي القعدة سنة 844هـ/1440م عن عمر ناهز 103 سنة ودفن بتونس.[2]

4- **مصنفاته وآثاره الفكرية:** لم يذكر الذين ترجموا للإمام البرزلي من الآثار والتصانيف إلا كتابه المسمى جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام وهو المؤلف الذي عرف به الإمام البرزلي والمشهور بفتاوى البرزلي تناول فيه جميع أبواب الفقه من الطهارة والوضوء وما يتصل بها، وأحكام الاستفتاء والصوم والزكاة ومسائل الحج وبعض الأسئلة، وكذلك اشتهر بالمناظرات العلمية مع غيره من علماء عصره نذكر منها مناظرته للدكالي ومناظراته لعمر الرجراجي[3].

[1] – محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، إخ: عبد المجيد جبالي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص352-353.

[2] – الرصاع، مصدر سابق، ص55.

[3] – نفسه، ص45.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام

1-اسم الكتاب والغرض من تأليفه:

1.1 اسم الكتاب: كتاب النوازل للبرزلي وقد أسماه بـ" جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام" والموسوم بجامع الفتاوى وسمي أيضا بديوان البرزلي، وقد اشتهر بين العلماء وطلاب العلم لأهميته البالغة فقد وصفه صاحب البستان بقوله:(... صاحب الديوان الكبير في الفقه والفتاوى وهو من كتب المذهب الآجلة أجاد فيه البرزلي فيه ما شاء الله...)[1].

1-2 الغرض من التأليف: لقد بين البرزلي نفسه سبب تأليفه للكتاب وذلك نجده في مقدمة الكتاب فقال:(هذا كتاب قصدت فيه إلى جمع أسئلة اختصرها من نوازل بن رشد وبن الحاج والحاوي لابن عبد النور وأسئلة عز الدين وغيرهم من فتاوى المتأخرين من أئمة المالكيين من المغاربة والإفريقيين ممن أدركناه وأخذنا عنه أو غيرهم ممن نقلوا عنهم وغير ذلك مما اخترناه ووقعت به فتوانا أو اختاره بعض مشايخنا نفعنا الله بذلك أجمعين، وجعله خالصا لوجهه الكريم ونعزو كل مسألة إلى من نقلتها عنه غالبا وما لا نعزو فيه فقد نقلته من كتب مشهورة مما اختصرته أو رويته وسميته بجامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام والله المستعان)[2].

[1] – ابن مريم ، مصدر سابق، ص150...ينظر: سفيان قعيد، الزواج في الغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار المعرب للونشريسي، أطروحة دكتوراه، تخصص بلاد المغرب الوسيط ، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 1442هـ-1443هـ/2021م-2022م، ص14.

[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج1. ص46، 61.

فالبرزلي يبرر سبب التأليف وهو اهتمامه بتراث السابقين وعلم الفقهاء الكبار وبيان منهجهم وآرائهم فهو يذكر المسألة ويستشهد لها من أقوال هؤلاء الأئمة ويستدل لهم ويناقشهم ويصحح ويرد ثم يعطي الحكم الصائب[1].

2-محتوى الكتاب ومصادره:

1.2 محتوى الكتاب: من خلال النسخة التي بين أيدينا والتي طبعت بدار الغرب الإسلامي بيروت بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة بالطبعة الأولى لسنة 2002م وبعد قراءتنا المتمعنة لهذا الكتاب وجدنا أنه يحتوي على 8أجزاء يحتوي الجزء الأول فيها على ترجمة للإمام البرزلي ثم نوازل تعلقت بأحكام الاستفتاء كالطهارة والصلاة والصوم والحج...كل هذا في 668 صفحة أما الجزء الثاني تناول كتاب الجهاد والإيمان والأنكحة ومسائل من الخلع والطلاق وغيرها أوردها في 589 صفحة والجزء الثالث تعلق بمسائل البيوع كالتدليس والعيب والصرف ونحوه في 685 صفحة في حين نجد الجزء الرابع أسرد مسائل من القضاء والغصب والرهون في 605 صفحة أما الجزء الخامس تضمن مسائل من اللقطة والحبس والهبة وغيرها في 625 صفحة ثم الجزء السادس به مسائل كثيرة كالعتق والتدبير والجنايات... مشمولة في 561 صفحة ثم يليه الجزء السابع الذي خصص لفهرسة أجزاء الكتاب به 191 صفحة والجزء الثامن هو عبارة عن مخطوط 133 صفحة ينظر الملحق رقم 02.

2.2 المصادر المعتمدة في الكتاب أما عن المصادر التي اعتمد عليها البرزلي في كتابه فليست مقتصرة على التي ذكرها في المقدمة، فالمطالع لكتاب النوازل يدرك يقينا أن مصادره كثيرة ومتنوعة من كتب الفتاوى والفقه المالكي من أمهات الكتب وهي[2]:

[1] – خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المتعربين والمستشرقين، ج5، ط15، دار العلم، بيروت، 2002م، ص172.

[2] – القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، د.ط، وزارة الأوقاف الإسلامية، المغرب، 1993م، ص45، 52.

1-**المدونة لسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي(ت 240هـ/855م)**[1]: والمدونة هي ما دونه سحنون من أجوبة مالك الفقيه بواسطة ابن القاسم حيث تحتوي على الآلاف من إجابات مالك، وتعتبر أم الكتب عند المالكية بعد الموطأ[2].

2- **الواضحة لابن حبيب السلمي(ت 238هـ/853م):** لعبد الملك بن الحبيب بن سليمان أبو مروان السلمي القرطبي المالكي، عالم الأندلس وفقيهها والواضحة جامعة للسنن والفقه وهي من أمهات الكتب عند المالكية[3].

3-**العتبية أو المستخرجة**[4]: لمحمد بن العتبي(ت 255هـ/869م) وهي المستخرجة لجمع آراء فقهية يرجع غالبيتها لابن القاسم مع آراء أخرى لتلاميذ مالك اعتمد عليها البرزلي كثيرا في نوازله[5].

4-**الموازية:** لمحمد بن إبراهيم المواز(ت 269هـ/883م)[6] وهو من أفضل كتب المالكية ومن أمهات المذهب جمع في مؤلفه سماعات المذهب، وله كتاب مشهور الكبير الذي يعتبر من أحسن الكتب التي ألفها قدماء المالكية وأصحها مسائل وأبسطها كلاما[7]، والموازية هي من أمهات الكتب التي اعتمدها البرزلي في نوازله[8].

---

[1] – سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي، هو أبو عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي، تفقه بابن القاسم وابن وهب وأشهب ثم انتهت إليه الرئاسة في العلم بالمغرب ولي القضاء بالقيروان صنف المدونة وعليها يعتمد المذهب، توفي سنة 240هـ ...ينظر أبي إسحاق الشرازي، طبقات الفقهاء، د.ط، مطبعة بغداد، بغداد، 1356هـ، ص132-133.

[2] – القاضي عياض، مصدر سابق، ص52.

[3] – أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، ج2، د.ط، د.د.ن، د.م.ن، د.س.ن، ص537-538.

[4] – **العتبية أو المستخرجة:** نسبة لصاحبها محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن جميل بن عتبة القرطبي كذلك سميت بالمستخرجة وكان لها بأفريقية القدر العالي... ينظر: القاضي عياض، مصدر سابق، ج4، ص250، 254.

[5] – نفسه، ج1، ص449.

[6] – محمد بن إبراهيم بن رباح الاسكندراني المعروف بابن المواز: تتلمذ على يد بن الماجشون وبن عبد الحكم وقيل أنه روى عن ابن القاسم وبن وهب، كان مولده سنة 180هـ وعلى هذه الرواية يكون قد أخذ عن ابن القاسم وهو صغير كان راسخا في الفقه والفتيا، وطلب في المحنة في القرآن فخرج هاربا إلى الشام فلزم بها إلى أن مات توفي كما قال بن حارث وابن دليم بدمشق سنة 269هـ ...ينظر: نفسه، ج1، ص405-406.

[7] – نفسه، ج1، ص405.

[8] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص235.

5- **النوادر والزيادات:** لابن أبي زيد القيرواني(ت 386هـ/996م)[1] الكتاب هو النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات من مسائل مالك وأصحابه[2] اعتمد البرزلي كثيرا على مسائل ابن زيد واستشهد بها كثيرا في نوازله كما وافقه في الحكم أحيانا[3].

6-**نوازل بن رشد(ت 520هـ/1126م)**[4]: للكتاب أهمية بالغة في المكتبة المالكية فقد مثل ديوان فقهيا يرجع إليه من الفقهاء المتأخرين مستندا يستندون إليه في نوازله[5] فهذه النوازل قد اعتمد عليها الإمام البرزلي كثيرا وقد صرح بصريح العبارة بذلك في المقدمة وجسد ذلك من خلال اجابته واستدلالاته في فتاويه[6].

7-**فتاوى بن الحاج(ت 529هـ/1134م)**[7]: وهو من بين الذين سرح الإمام البرزلي في مقدمة نوازله فالمطالع لنوازله يجد اعتمادا كبيرا لفتاوى بن الحاج من قبل[8]

---

[1] – أبو محمد بن أبي زيد القيرواني المالكي عبد الله بن أبي زيد شيخ المغرب إليه انتهت رياسة المذهب قال القاضي عياض حاز رياسة الدين والدنيا ورحل إليه من الأقطار ونجب أصحابه وكثر الآخذون عنه وهو الذي لخص المذهب وملأ البلاد من تآليفه كان يسمى مالك الأصغر قال الحبال توفي سنة 389هـ ... ينظر: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، ط2، دار الميسرة، بيروت، 1399هـ/1979م، ص131.

[2] – أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تح: عبد الفتاح محمد الحلو،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص11.

[3] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص143.

[4] – أبو الوليد محمد أحمد بن رشد (الجد): فقيه الأندلس وعالمها ولد في قرطبة عام 450هـ 1048م وبها نشأ وتعلم على يد يد علمائها كفيقه قرطبة أبي جعفر بن رزق... ينظر: أبي الوليد محمد بن أحمد ين رشد القرطبي، البيان والتحصيل والشرح والتعليل في المسائل المستخرجة، تح: محمد حجي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1044 هـ/ 1984م، ص11-12.

[5] – ابن رشد(أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي)، فتاوى بن رشد، تح: مختار بن طاهر التليلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص69.

[6] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص134.

[7] – محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم أبو عبد الله النجيبي المعروف بابن الحاج، كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء معدودا في المحدثين والأدباء تقلد قضاء الجماعة بقرطبة له نوازل الأحكام .... ينظر: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضايا والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق الجديد، بيروت، 1403هـ/1983م، ص102.

[8] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص74.

3- منهجه وقيمته العلمية

1.3 منهجه: لكل مؤلف طريقته الخاصة ومنهجه فالبرزلي في كتابه جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين من الحكام والمشهور بفتاوى البرزلي كانت طريقته في عرض المسائل هو أن يعرض السؤال الذي وجه إليه أو إلى أحد شيوخه أو إلى علم من رجال المذهب ثم يورد الجواب من عنده إذا كان السؤال قد وجه إليه أو الجواب الذي أجاب به المسؤول من الشيوخ ثم يعقب على ما ينقله تعقيبا يختلف باختلاف موقفه من القضية فإذا وجد نقصا في جواب غيره أكمله سواء بدليل قياسي أو نقلي، وإذا خالف رأي المسؤول عقب عليه بالرد والدحض المعتمد على الحجة أيضا، وإذا وجد في جواب غيره انتقل إلى مسألة أخرى وكثيرا ما يستدل على القضية بمواقف السلف الصالح ومواقف شيخه ابن عرفة وأحكامه التي أمضاها، أما عن ترتيبه للكتاب وتبويبه فقد سلك فيه مسلك أغلب جامعي الفتاوى حيث رتبه على أبواب الفقه من الطهارة والعبادات إلى الأنكحة والطلاق إلى البيوع والشركات وغير ذلك مع أنه أضاف في أول الكتاب بابا يتعلق بمسائل أحكام الفتوى والمفتين وألحق بالكتاب مسائل تتعلق بالأدعية والوعظ والرقى والطب وغير ذلك من المتفرقات.[1]

2.3 قيمته العلمية: تتمثل أهمية كتاب البرزلي فهو بمثل ديوان جامعا لمختلف الآراء الفقهية، فهو يعد بحق جامعا لمسائل الخلاف داخل المذهب المالكي أو خارجه حتى أنه أرشدنا لمعرفة العلماء القدامى فقام البرزلي بإعادة بعث ذكرهم وبيان مقامهم من خلال فتاويهم وآرائهم، كما أنه يمكن الاعتماد عليه في تاريخ الأحداث الواقعة في تلك الحقبة، وهذا هو شأن كتب النوازل ولقد حظي هذا الكتاب بعناية من العديد من العلماء المحققين وذلك بالدراسة والاختصار حيث نجد الكتب التي اختصرت جامع البرزلي في النوازل كالآتي:

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص43.

- **مختصر فتاوى البرزلي:** هو الإمام العلامة الفقيه الأصولي أحمد بن عبد الرحمان اليزليتني القروى المعروف بحلولو(أبو العباس) توفي 875هـ/1471م، ألف في الفقه والأصول واختصر فتاوى شيخه البرزلي[1] حيث يقول في مقدمة كتابه هذه(مسائل انتخبتها مختصره من كتاب سيدنا وشيخنا الإمام العلامة أبي القاسم البرزلي رحمه الله– مسائل الفتي والاستفتاء)[2].
- **الأجوبة لابن عظوم:** هو أبو الفضل أبو القاسم بن محمد مرزوق بن عبد الجليل بن محمد بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبد العظيم بن أبي بكر بن فندار المراري القيرواني عرف بابن عظوم ولد 930هـ(1523م) تقريبا، اعتمد بن عظوم كثيرا على أداء وفتاوى البرزلي في ديوانه النوازل[3].
- **البهجة في شرح التحفة تـ 676هـ/1258م:**هو أبو الحسن علي بن عبد السلام بن علي الحسن التسولي فقيه وعالم نشأ بفاس وفي كتابه اعتمد على آراء البرزلي وفتاويه خاصة في مسائل المعاملات كالشهادات والأحكام[4].
- **الحاوي في النوازل:** لأبي عبد الله البوسعيدي البوجائي هو أحد تلاميذ البرزلي اختصر نوازل البرزلي بكتاب عنوانه الحاوي في النوازل وتم ذلك بتاريخ السادس من ذي القعدة سنة 826هـ/1433م[5]

---

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص39.

[2] – أحمد بن عبد الرحمان اليزليتي حلولو، مختصر فتاوى البرزلي، اعتنى به الفضل الدمياطي، أحمد بن علي،ط1، دار بن جزم، الدار البيضاء، 2011م، ص8–9.

[3] – أبي القاسم بن محمد مرزوق بن عظوم المرادي، كتاب الأجوبة، تح، تق: محمد الحبيب ميلة،ج1، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب بيت الحكمة، تونس، ص5–16.

[4] – أبو الحسن علي عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التفحة على الأرجوزة المسماة بتفحة الحكام، ضبط تص:محمد عبد القادر شاهين، ج1، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص3، 185.

[5] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص39.

- **مختصر أحكام البرزلي للونشريسي تـ 914هـ/1508م:** هو أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي وألف عدة كتب من بينها مختصر أحكام[1]

[1] – كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997م، ص5.

المبحث الثالث: أهمية النازلة في الكتابة التاريخية

1-تعريف النازلة:

1.1 لغة مفردها (نزل) النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه والنازلة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس[1].

(نزل) النزول: الحلول وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم[2].

النازلة بكسر الزاي من نزل وجمعها نوازل وهي المصيبة ليست بفعل فاعل[3].

ومن أبيات الشعر أبيات الشافعي

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا عند الله منها مخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج[4]

2.1 اصطلاحا: النازلة مصطلح له عدة تعريفات في ميدان الفقه والنوازل أو الواقعات أو العمليات هي المسائل أو المستجدات الطارئة على المجتمع بسبب توسع الأعمال وتعقد المعاملات والتي لا يوجد نص تشريعي مباشر ينطبق عليها وصورها متعددة ومتجددة ومختلفة بين البلدان والأقاليم لاختلاف العادات والأعراف المحلية[5].

---

[1] – أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقايس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، د.ط، دار الفكر، د.م.ن، د.س.ن، ص417.

[2] – أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج11، د.ط، دار صادر، بيروت، د.س.ن، ص656.

[3] – محمد رواس قلعة جي، حامد صادق قيبي، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس، بيروت، 1416هـ/1996م، ص357.

[4] – أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي، ديوان الشافعي، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1985م، ص64.

[5] – الزحيلي وهبة، سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، ط1، دار المكتبي، دمشق، 2001م، ص9.

والنوازل هي مسائل وقضايا دينية ودنيوية تحدث للمسلم ويريد أن يحكم الله فيها[1].

2- أهمية وخصائص النازلة في الكتابة التاريخية:

1.2 أهمية النازلة: النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية تأتي في سياق ما يحتاجه المؤرخ عموما من مادة تاريخية مصدرية في بحثه التاريخي، فلا بد له من مادة مصدرية يستقي منها تلك المعلومات التي يوظفها للتأريخ لمرحلة معينة أو حدث ما، والكتب الفقهية هي أحد المصادر التي يمكن للمؤرخ أن يعتمد عليها، حيث أشاد المؤرخون بكتب النوازل، وبينوا أهميتها في الدراسات الخاصة بالمجتمع وحياة الناس اليومية والاقتصادية ودعوا إلى ضرورة الغور في مسائل كتب النوازل ونفض الغبار عن القضايا التي اهملتها كتب التاريخ[2].

2.2 خصائص النوازل: وتتميز النوازل الفقهية بخصائص عدة من أبرز سماتها:

1.2.2 الواقعية[3]: تكمن في مدى تعلقها بقضايا ومسائل وقعت ونزلت بالفعل بعيدة عن الافتراضات النظرية إذ يقوم فقه النوازل على الدراسة الشاملة بالنازلة بكافة أبعادها ومعالجة الاشكالات الواقعية الميدانية لحياة الناس اليومية، وإنه لم يقف يوما عاجزا على مواجهة تطورات الحياة اليومية ومن ثم إعطاء الحكم الشرعي المناسب لها فكان فقه النوازل سمته الواقعية ومراعاة الفقهاء لهذه الخاصية واجتهادهم في استنباط الأحكام الشرعية الملائمة لها فيقول ابن القيم الجوزي رحمه الله (لا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى إلا بنوعين من الفهم أحدهما فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمرات والعلامات حتى يحيط به علما أما النوع الثاني هو فهم الواجب في الواقع وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، فالفقه يتأثر بالواقع مثلما يؤثر فيه فالفقيه

[1] – محمد حجي، نظرات في فقه النوازل الفقهية، ط1، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1999م، ص11.

[2] – هشام البقالي، المؤلفات النوازلية للفقهاء المالكية بالغرب الإسلامي دراسة ببليوكرونولوجية، مج3، ع2، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، سبتمبر 2020، ص75.

[3] – حمداوي جميل، فقه النوازل في الغرب الإسلامي(نحو مقاربة تأصيلية)،د.ط، د.س.ن، المملكة العربية السعودية، ص33.

الحق لا بد أن يكون واقعيا يعرف الواقع ولا يجهله يعلمه ولا يهمله يبني عليه ولا يبنى في فراغ وهذا يقتضي المعرفة الجيدة بالواقع ومكوناته وبالأشياء وأوصافها وبالأفعال وأسبابها وآثارها، فالواقعية هي سمة مذهب مالك وتأثر بهذه الخاصية فقد سلك أهل المغرب طريقته فجاءت نوازلهم متأثرة بنهج الواقعية وهو الملاحظ على نوازل البرزلي، إذ أن قارئ النوازل تتشكل لديه صورة عن مدى حرص الفقهاء في ترسيخ المذهب المالكي نظرا للميزات التي يتميز بها والوسطية والابتعاد عن التشدد.

2.2.2 المحلية: تعتبر من أبرز خصائص كتب النوازل إذ تحدد مسائلها في مكان وزمان وموضوع النازلات حسبما تأتي به أسئلة المستفتين وما تطرحه من إشكالات دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية وبذلك فإن المهم بالدرجة الأولى ليس هو الجواب الفقهي وإنما السؤال الذي يأتي به بتفاصيل النازلة من أسماء وأحوالهم وتاريخ النازلة وتبرر هذه الخاصية بعلم النوازل الفقهية عظمة التشريع الإسلامي ومسايرته لمصالح الناس على اختلاف أحوالهم واختلاف عادتهم وتقاليدهم ويظهر بوضوح في عناوين هذه الكتب التي تشير إلى وقائع بلدة ما أو أسماء المستفتين ونسبهم وقريتهم مما يدل على أن سمة المحلية هي في الغالب على هذه النوازل[1].

3.2.2 التجديد: تمتاز بالتجدد المستمر ذلك أن لكل نازلة زمانها ومكانها فاستطاع الفقه الإسلامي لهذه الخاصية أن يواكب حياة الناس ويساير اختلاف أحوالهم رغم التطور الذي أفرزته الحياة من تغيرات وتحولات من حقبة زمنية إلى أخرى[2].

4.2.2. تنوع التأليف: قد نجد بعضها من تأليف الفقيه الذي يقيد الفتاوى وهو الغالب على كتب النوازل وبعضها تركها المفتي مفرقا في أوراق جمعها بعد وفاته أبناؤه أو تلاميذه، ومن

[1] – محمد حجي، مرجع سابق، ص60.

[2] – نفسه، ص58.

حيث هذه الكتب تختلف من مؤلف لآخر فبعض هذه الكتب يشتمل جميع أبواب الفقه ومنه يقتصر على باب أو بابين[1].

[1] – محمد حجي، مرجع سابق، ص59.

الفصـل الثاني

الحيــاة الخاصة للجــواري والعبيـــــد من خلال كتاب البرزلي

المبحث الأول: تعريف الجواري والعبيد

المبحث الثاني: مصادر جلبهم وطرق بيعهم

المبحث الثالث: معيشتهم ومكانتهم

الفصل الثاني: حياة الجواري والعبيد

المبحث الأول: تعريف الجواري والعبيد

1- الجواري لغة واصطلاحا

1.1 لغة: مفردها جارية وهي السفينة سميت بذلك لجريها في البحر مستسخرة في أشغال مواليها[1] لقوله تعالى:چٹٹٹچ [2] وجمعها جواري حيث قال تعالى:چچ چچچچچ[3] وتعني الكواكب والشمس والنجوم وذلك لجريها من القطر إلى القطر قال تعالى:چڑ ڑ ک ک چ[4].

والجارية هي الأمة وإن كانت عجوزا والفتية من النساء ويقال جارية بينة الجراية[5].

والجارية هي الشابة الناضجة لخفتها ثم توسعوا حتى سموا كل أمة جارية[6] وهي الفتاة التي تباع وتشترى[7] في سوق النخاسين[8].

2.1 اصطلاحا: الجارية هي التي فقدت حريتها أي وقعت في الرق أو أسرت في الحرب شريطة أن تكون غير مسلمة وتصبح فتاة مملوكة[9] لصغر سنها وجمالها، والجارية هي الأنثى التي سخرت لتلبية حاجات مالكها وسادتها ليجدد شبابه والجارية تكون مطاوعة ولينة

---

[1] – حسن يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، ج1، ط3، مكتب الإعلام الإسلامي، د.م.ن، 1404هـ، ص16.

[2] – سورة الحاقة، الآية 11.

[3] – سورة الرحمان، الآية 24.

[4] – سورة التكوير، الآية 15-16.

[5] – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، د.م.ن، 2005م، ص119.

[6] – حسن يوسف موسى، مصدر سابق، ص17.

[7] – سولاف فيض الله حسن، دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2013م، ص33.

[8] – **النخاس:** هو بائع الدواب سمي بذلك لنخسه إياها حتى تنشط وحرفة النخاسة وقد سمي بائع الرقيق نخاسا... ينظر: ابن منظور، مصدر سابق، ص228.

[9] – محمد عصيم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص35.

في مقابل الرجل حرا كان أو مملوكا[1] ويعاشرها معاشرة الأزواج. وفي الأصل هي الخادمة وتكون تحت أمر مالكيها وتطلق على الأمة حتى وإن لم تبلغ من النساء الحلم[2].

2- العبيد لغة واصطلاحا:

1.2 العبيد لغة: مفردها عبد وتطلق على الذكر والانثى سواء وهي الانقياد والخضوع والطاعة لقوله تعالى:چثٹ ٹ چ[3] والعبد هو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره لقوله تعالى:چگگں ں چ[4]وفي الأصل صفة فيقال رجل عبد الله أما مصدر العبد هو العبودية وهي الخضوع والتذلل حيث يقال عبدت فلان إذ ذللته واتخذته عبدا[5]، كما اختصت بالمؤمنين في القرآن الكريم لقوله تعالى: چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ[6]

وهي واستعباد الشخص واتخاذه عبدا[7] والعبد هو الرقيق أي الإنسان كان حرا أو عبدا[8].

2.2 العبيد اصطلاحا: العبد ضد الحر أي استعباد الشخص والذي فقد حريته وأن يصبح ملك غيره ويطلق على الذكر والأنثى كما يتم إجبارهم على ممارسة عمل او تقديم خدمات ويعتبر ملكا شرعيا لذلك الشخص يتصرف به كما يشاء[9].

3 مسميات الجواري والعبيد

---

[1] – وفاء الدريسي، الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية مقارنة جذرية، ط1، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، 2016م، ص26.

[2] – ياسمين عيسى العاملي، الاصلاحات في الرسائل العلمية، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، د.م.ن، 1410هـ، ص35.

[3]– سورة الفاتحة، الآية 5.

[4] – سورة البقرة، الآية 21.

[5] – بطرس البستاني، محيط المحيط، د.ط، مكتبة لبنان، د.م.ن، 2008م، ص571.

[6] – سورة ق، الآية 29.

[7] – محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، د.ط، مكتبة لبنان، د.م.ن، 2008م، ص172.

[8] – إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في الجموع، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004م، ص300.

[9] – أحمد منصور، استرقاق الأسرى وأثر ذلك في العلاقات بين دول المغرب وأوروبا خلال القرن الثامن ميلادي، مج7، ج1، مجلة عصور، دار المريخ للنشر، لندن، 1412هـ/1992م، ص56.

1.3 تسميات الجواري:

الأَمَةُ: وهي جواري الخدمة[1]

الحَضِيةُ: أو المَحْضِية وهي الجارية التي تحظى بميزة سواء لجمالها أو صنعتها المتقنة فكانت مقربة لسيدها.

السَّرِيةُ: تطلق على الجارية المخصصة للمتعة أي التي لها علاقة جنسية مع سيدها وكما يعتبر أولادها شرعيين[2].

الغُلاَمِيَات: وهن الجواري الصغيرات التي لم يتجاوز أعمارهن 20سنة[3]

القَيِّنَة: وهي الجارية المغنية التي تعنى بالموسيقى والغناء وكان يشترط فيها جمال الصوت والبراعة في الأداء و الموسيقى[4].

مُلكُ اليَمِين: تعني الإماء أو السراري أو ما يملكه الفرد وهن اللائي ملكن ملكا شرعا عن طريق السبي في الحروب[5].

الخَادِمَةُ: جمع خدم وهي التي تقوم بالأعمال المنزلية[6].

المُدَبِرَةُ: هو المخطط والمدبر والذي يتصرف تحت مسؤوليته[7].

3.1 تسميات العبيد:

[1] – نوارة شرقي، لمحات من الواقع الثقافي للجواري في الغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، مج6، ع2، جامعة بن خلدون، تيارت، 2023م، ص120–121.

[2] – سعيد أبو العينين، حكايات الجواري في قصور الخلافة، د.ط، د.م.ن، د.س.ن، ص16.

[3] – حسن يوسف موسى، مرجع سابق، ص16.

[4] – أبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ البصري، كتاب المحاسن والأضداد، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1324هـ، ص170.

[5] – الرازي، مصدر سابق، مج3، ص859.

[6] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص226.

[7] – نفسه، ص235.

الرقيق: يسمى به الذكر والأنثى وهو الذين يعملون في القصور ولديهم عدة مهام فمنهم الذي يقدم الشراب يسمى الشّرابي والذي ينقل الرسائل يسمى الرّسائلي والحرمي هو المسؤول عن الدخول والخروج إلى حرم القصر فالإسلام دعا إلى الرفق بهم لأنهم مستضعفين[1] لذلك حظوا بمناصب مرموقة.

الغِلمَان: مفرد غلام وتعني الشدة والقوة ويستعمل للخدمة والمتعة[2].

المَمْلُوك: يتم شراء المملوك صغيرا ويتم تربيته من حيث القراءة والكتابة وقراءة القرآن وعندما يكبر يتدرب على فنون الحرب[3].

الخَادِم: هو الشخص الذي يعمل لغيره مقابل إطعامه ويطلق على الذكر والأنثى[4].

الصَّبِي: هو الفتى وهو الصغير دون الغلام وهو الولد ما لم يبلغ[5].

الآبِق: هو العبيد الهارب.[6]

القَيِّن: وهو العبد الذي يقوم بخدمة سيده.

الخِصْيَان: هم العبيد الذكور الذين يعيشون في القصور مع النساء ولا خوف عليهم لأنهم مجردين من فحولتهم عبر عملية وحشية تسمى الخِصّاء.[7]

وبما أننا نركز على نوازل البرزلي فقد أفادنا ببعض التفاصيل الكثيرة عن مواصفات الجواري والعبيد وقد أعطاها مسميات حسب مواصفاتهم الجسمية واخترنا جزء منها.

---

[1] – عبد السلام الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1979م، ص57.

[2] – وفاء الدريسي، مرجع سابق، ص26.

[3] – بطرس البستاني، مصدر سابق، ص863.

[4] – أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيدة، المخصص سفر3، مج1، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان، ص140.

[5] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص281.

[6] – نفسه، ج5، ص196.

[7] – قلعة جي، مرجع سابق، ص174.

جدول رقم 01: مواصفات الجواري من خلال كتاب البرزلي[1]

النوع	التسمية	الصفة
الجواري	**فوهاء**	غليظة الشفتين
	فقماء	فمها غائر
	قتواء	أنفها طويل مع نتوء في وسطه
	قسطاء	أطرافها عريضة
	مسناء	كثيرة الشم والعطس
	وجناء	جارية وجنتاها بارزتان
	أسيلة الخد	خدها مستطيل
	جيداء	عنقها طويل
	غيداء	جارية شبت
	وقصاء	عنقها قصير
	شهلاء	عيناها خضراء
	مستحكمة	عيناها زرقاء
	خيفاء	عين زرقاء والأخرى كحلاء
	دعجاء	أشفار عينيها منمصة
	حوراء	لديها في مقلتيها إشارة إلى انقفال
	حولاء	إذا دخل بعض مقلتيها في الميئقين
	بلجاء	إذا بين أسنانها فرجة
	زجاء	إذا كانت مقوسة الحاجبين
	جعداء	بهاج جعود
	صهباء	شعرها يميل إلى الحمرة
	شقراء	شعرها يميل إلى الصفرة

جدول رقم 02 : مواصفات العبيد من خلال كتاب البرزلي[2]

النوع	التسمية	الصفة

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص293-294.

[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص294-295.

العبيد	**أغيد**	إذا شبا سمي أغيد
	أوقص	عنقه قصير
	أحنيف	إحدى عينيه زرقاء والثانية كحلاء
	أزج	حاجبيه مقوسين
	جعد	إذا كان شعره مجعد
	أزور	إذا كان صدره نتا وبرز
	أحنى	منحني الظهر
	أشمط	به شيب
	الصبي	قدر أربعة أشبار سمي رباعي القد وخماسي القد وسداسي القد
	مراهق	وصل سن البلوغ
	ملتح	إذا إلتحى
	مسيل	لحيته طويلة
	كوسج	ليس لديه لحية
	أكوع	معوج اليدين
	أحقف	إذا كان إبهام قدميه مع بعضهما
	أخمص	أسفل قدميه لا تلتصق بالأرض
	أزج	وإذا كان أسفل قدميه لاصقا بالأرض
	مملوكا	أصفر– أحمر– أسود

المبحث الثاني: مصادر جلبهم وطرق بيعهم

1- أبرز مصادرهم:

1.1 الحروب: تعتبر الحروب من المصادر الهامة والأساسية في جلب الرقيق خاصة الأسرى والسبايا الذين يتم قتلهم أو بيعهم وذلك من خلال الحملات العسكرية التي كانت تقام سواء داخلية أو خارجية حيث عرفت بلاد المغرب خلال العصور الوسطى مظاهر كثيرة للاسترقاق[1] وقد أسفرت هذه المواجهات الداخلية بين السلطة ومعارضيها أو عقب قيام أو سقوط الدولة ظهور نوع من السبايا سمي بالسبي المسلم(الرقيق المسلم) أما بخصوص المواجهات الخارجية وخاصة منها البحرية التي كانت قائمة بين المغرب والنصارى[2] حيث يبرز لنا ابن حوقل أجناس الرقيق الذي دخل بلاد المغرب" ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري والغلمان الروقة من سبي إفرنجة وجليقية والخدم الصقالبة وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخِصْيان فمن جلب الأندلس"[3] ويسمون هذا النوع الآخر السبايا يسمى بالسبي غير مسلم، ولقد ذكر البرزلي في كتابه الجهاد عن الغزو وقد هموا بأخذ الأسرى والسبايا مع أولادهم ونسائهم[4]، وأفادنا كذلك بأن أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز بن خليفة أمير المؤمنين أبي العباس أحمد من الأمراء الراشدين الحفصيين الذي قاتل الكفار وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم[5].

2.1 التجارة: هناك مصدر آخر لا يقل أهمية عن الحروب وهي التجارة حيث لعبت دورا هاما في جلب العبيد والجواري فاعتبرت من أفضل السلع التي كان المغاربة يستوردونها من السودان إلى جانب الذهب، وقد ظل السودان الغربي خاصة ما بين القرن 2هـ و9هـ الممون الرئيسي للمغرب فيما يخص مادتي الذهب والعبيد نظرا لكون العبيد السود أبهظ ثمنا من أولئك الذين كان يتحصل عليهم المغرب من الغرب المسيحي، وقد ذكرت المصادر أن عدد

[1]– حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609هـ(1212–1465م) د.ط، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2009م، ص335.

[2] – عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2004م، ص131–132.

[3] – أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، د.ط، مكتبة الحياة، لبنان، 1992م، ص105–106.

[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص41.

[5] – نفسه، ج4، ص21.

العبيد السود المصدرين نحو بلدان البحر الأبيض المتوسط سنويا في العصر الوسيط عشرين ألف[1]، وقد استوفى البرزلي في نوازله عن بيع وشراء الجواري والعبيد والغلمان والخدم والإماء وأورد معلومات كثيرة، ومن خلال العديد من نوازله، وإلى جانب التجارة كانت المقايضة حيث تتم مقايضتهم سلع أخرى كالخيول والملح والودع والنحاس...[2]

كما عرفت نوع آخر من الرقيق(العبيد) سمي بالرقيق البيض كانوا يستوردونهم من الغرب المسيحي وهو ما أشار إليه ابن خرداذبة عن الرقيق الرومي الذي يجلب من ناحية البحر الغربي..."والذي يجيء من البحر الغربي ...الجواري الروميات"[3] وأيضا كما في قول الحميري" ...جواري بيض الألوان..."[4]

3.1 الفَقْرُ والدَيْنُ: يعد الفقر والدين من الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انتشار ظاهرة الرق باعتبار أن الانتقال من الحرية إلى الاسترقاق كفيل بإخراجهم من حالة الفقر حتى أصبح بعض الآباء يبيعون أولادهم مقابل الحصول على المال وهذه الإشارات كلها كانت في بداية الوجود العربي[5] الإسلامي ببلاد المغرب" يبيعون من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم" وكانت ظاهرة الفقر[6] منتشرة حتى أن بعض الفتيات يذهبن إلى قصور السلاطين والحكام والعائلات الغنية للمطالبة بالعمل عندهم[7] مقابل أن تسكن وتأكل وهذه الظاهرة أشار إليها البرزلي في بعض نوازله وكذلك بعض الرجال يهبون أنفسهم للخدمة[8] أما الدين فكان الناس يأخذون

[1] – فاطمة بوزاد، حرفة النخاسة في المغرب الوسيط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين جوانب من التاريخ المسكوت عنه، دورية كان التاريخية، ع3، سبتمبر 2021م، ص4.

[2] – فاطمة بوزاد، مرجع سابق، ص5.

[3] – أبي القاسم عبيد الله بن الله بن خرداذنة، المسالك والممالك، د.ط، مطبعة بزيل، لندن، 1889م، ص92.

[4] – محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، د.ط، مكتبة لبنان، لبنان، 1975م، ص18.

[5] – الترمانيني، مرجع سابق، ص45.

[6] – بنمليح، مرجع سابق، ص171.

[7] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص5.

[8] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص36.

القمح وإيداع أبنائهم رهائن لديهم وفي حالة عدم الوفاء بالدين يحتفظ الدائنون بالأطفال كخدم لديهم[1].

4.1 الخَطْفُ: كشفت لنا النوازل والنصوص التاريخية أن ظاهرة الخطف كانت شائعة خاصة في فترات الفوضى وعدم الأمن[2] وعند قيام الدويلات المستقلة الحفصية والزيانية والمرينية، كانت حالات الخطف كثيرة وخاصة الإماء والعبيد وخطف الأسرى وخطف الأحرار[3] وهذا ما أكده البرزلي في نوازله أن إمرأة حرة خطفت ثم سبيت وبيعت فادعت الحرية إلا أن مولاتها أنكرت أنها لا تفرق بين المملوكة والحرة وهذا دليل واضح على أن هذه الظاهرة منتشرة، وفي نازلة أخرى أن امرأة ألقيت بيد رجل وادعت أنها حرة وهذا دليل واضح على أن هناك ظاهرة خطف الأحرار وقال أيضا في خطف العبيد أنه خطف عبيدا وباعوه للأحرار، وأيضا أن امرأة مملوكة قامت تدعي الحرية وتزعم أنها بنت فلان وتتصرف تصرف الأحرار وشهد شاهد أنها حُرَة بنت حُرَين ويبدو أن ظاهرة بيع الأحرار سادت في بعض مناطق المغرب الأدنى مما أدى إلى انتشار ظاهرة الرقيق ورواجها[4].

2- مسالكهم: لقد تحدثت المصادر الجغرافية على المسالك والطرق التي كانت تعبر من خلالها القوافل التجارية وفي مطلع القرن 6هـ كانت تعبر الصحراء من الشمال إلى الجنوب ذهابا وإيابا بصفة منتظمة[5] وقد أشار اليعقوبي في قوله:" تجارة العبيد في زويلة فزان قادمة من كوار التي كان أهلها يشنون غارات...ويجلبون سبيهم قصد بيعهم"[6]، وظلت هذه المدينة على امتداد العصر الوسيط أحد المراكز التجارية لتجارة الرقيق نظرا لموقعها الجيد، كما

---

[1] – الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص65.

[2] – الحميري، مصدر سابق، ص74.

[3] – بنمليح، مرجع سابق، ص174.

[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص193، 195، 197.

[5] – بنمليح، مرجع سابق، ص184.

[6] – أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي، البلدان، د.ط، د.م.ن، د.د.ن، د.س.ن، ص345.

كانت مفترق الطرق المتجهة إلى مصر من جهة وإفريقية من جهة ثانية، كما شهدت استيراد الخصيان من منطقة كانم وبورنو في وسط إفريقية[1]، كما أشاد البكري" منذ القرن الرابع العاشر ميلادي كانت أفواج العبيد السود من زويلة"[2] كما اشتهرت مدينة قسنطينة بتجارة الجواري والعبيد حيث كان أهلها يستبدلون سكان الصحراء بالزيت والحرير والمنسوجات مقابل التمر والرقيق[3]، وأشار الإدريسي تجارتهم مع بلاد السودان " ... فيها قبائل مياسر وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانا ونقاوة" كما شهد القرن السادس حركة تجارية واسعة للرقيق الرومي، وقد كانت بجاية مركزها الرئيسي كانوا يقومون بجلب العبيد ويبيعونهم فيها[4].

3-طرق بيعهم وشرائهم: شهد العهد الحفصي اهتمام الحكام والسلاطين بالأسواق التي عم فيها شراء وبيع الجواري والعبيد خاصة خلال العصر الوسيط وذلك لما يقدمونه من خدمة عظيمة لأسيادهم حيث أفادتنا المصادر التاريخية بأن السلاطين الحفصيين كان من عاداتهم التسري بالجواري الروميات التي ينتقونهون من سبي البحر[5]، كما عرفت بلاد المغرب الكثير الكثير من الأسواق منها: سوق البركة، سوق الخدم، سوق المعرض، سوق العبيد[6]، سوق النخاسين[7]، حيث اكتظت بالسلع والبضائع والرقيق، وبما أننا نركز على نوازل البرزلي فقد أفادنا ببعض التفاصيل عن عملية البيع والشراء للجواري والعبيد وما يمارسه النخاسون من تدليس وإخفاء للعيوب الظاهرة أو الباطنة منها[8] وقد أشار البرزلي بأن الجواري المسيحات

[1] – بنمليح، مرجع سابق، ص189.

[2] – البكري، مصدر سابق، ص158.

[3] – بنمليح، مرجع سابق، ص188.

[4] – عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي من خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983م، ص117.

[5] – كريم علي الخزاعي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، د.ط، الدار العربية للموسوعات، د.م.ن، د.س.ن، ص20.

[6] – بنمليح، مرجع سابق، ص229.

[7] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص543.

[8] – بنمليح، مرجع سابق، ص229.

أغلى ثمنا (سعرا) من المسلمات[1] كما اختلف سعرها فالجارية الرومية التي لم تبلغ الحيض بيعت بأربعة وثلاثين مثقال في حين أن الجارية الإفريقية تساوي درهما[2].

وفي مسألة من اشترى جارية واطلع على عيب فيها فهو بالخيار في الإمضاء أو الرد[3] كما يسمح للجارية أن تباع وعليها حلي وثياب[4] أو يتم تجريدها وتقليصها فالجارية يجس صدرها وثديها[5] كما أن من اشترى خادما وفي طرف خاصرتها اليمنى دمّل[6] وفي حالة أخرى أخرى من التدليس يقومون بإحضار شاهدين أثناء بيع خادمة على أنها حامل لكن هو نفخ في البطن[7] وأخبرنا البرزلي بأن الرقيق يتم تجريدهم أثناء البيع كما يباع العبيد المشهود عليهم بالسرقة أو فيهم صفات أخرى من العيوب ما ظهر أو خفي[8] وإن باع عبدا أو أمة ولهم شاهد على أنهم أحرار فهو عيب وكذلك فيهم من يبتاع عبدا آبقا ثم وجد من شهد على أنه آبقا عند المبتاع فلا يباع[9].

كما تظل الجارية بعد شرائها مدة زمنية تحت مراقبة مبتاعها كالتي بها طحال[10] أو تبوّل أو تعاني من أوجاع في البطن أو تشوهات تمهل ثلاثة أيام وتسمى بعهدة الثلاث في حين نجد من بها برص أو جنون أو جذام يمهل في كشف العلة سنة وتسمى بعهدة السنة وإن بقيت الحالة كما هي هنا يتم عرضها على الطبيب الذي يتولى مهمة تبيان الحقيقة[11]، وقد

---

[1] –البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص255.

[2] – نفسه، ج3، ص217، 306.

[3] – نفسه، ج5، ص123.

[4] – نفسه، ج3، ص289.

[5] – نفسه، ج2، ص259.

[6] – **دُمّل:** هو ورم يظهر على الجسم محمرا متصلبا... ينظر: البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص275.

[7] – نفسه، ج3، ص 275–276.

[8] – نفسه، ص282.

[9] – نفسه، ص285–286.

[10] – **طحال:** هو داء يصيب الإنسان تمثل في لحمة سوداء عريضة في بطن الإنسان وغيره عن اليسار لازقة بالجنب... ينظر: ابن منظور، مصدر سابق، مج4، ص232.

[11] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص277.

أخصنا البرزلي في فتاويه بأن الجواري إذا نجحنا في إنجاب الأبناء (الأولاد) فقد يتحصلن على مزايا كثيرة منها: تسمى بأم الولد وتصبح حرة ويتم فسخ بيعها وكذلك يمنع على سيدها بيعها حتى وإن سقط هذا الولد (أي أجهضت)[1].

المبحث الثالث: معيشتهم ومكانتهم

[1] – نفسه، ج6، ص23، 28.

1- معيشتهم:

1.1 الأكل واللباس: من واجب الأسياد النفقة على العبيد والجواري وذلك عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم" إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم"[1] ولقد كان الغذاء العادي لسكان إفريقية مقتصرا بعض الموارد الأساسية كالحنطة والشعير وزيت الزيتون وهذا ما أكده ابن خلدون بأن الغذاء الأساسي هو الشعير والزيت[2]، كما شهد العهد الحفصي ظهور بعض الأطعمة مثل الكسكس الذي لم نجد له أثر قبل القرن الثامن، كما وجدت مأكولات وحلويات كالبسيسة والعصيدة والدشيش...[3]ويذكر البرزلي ما يأكل في عصره الثريد، كما يقدم للجواري والعبيد القمح والزيت كيلا وما سوى ذلك من الحطب والفحم التي يستعملونها للطبخ والتدفئة[4]، حيث حدد في نوازله مقدار ومدة النفقة الواجبة على كل فئة فالمملوكة لها ربعان من دقيق القمح وثمان من الزيت ونصف حمل حطب في الشهر، فالخادم له زوجه فلهما أربعة أرباع ونصف دقيق ونصف ربع زيت وحمل حطب، أما لزوجه وابنيهما وخادم ومرضع فلهم ثمانية أرباع دقيق وربع وحمل حطب ومثقال عن صرف في الشهر وفي حالة غياب القمح أو نقصه فالشعير يكون أكثر كيلا إضافة إلى السمن والعسل[5].

ومن المعترف به أن على السيد إطعامهم كذلك هو المسؤول عن لباسهم حيث يختلف لباسه عن عبده فيلزمه أن يلبسهم ما يوقيهم برد الشتاء وما يرد عنهم حر الصيف وما يستر

[1] – محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، ، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق1422هـ، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها ارتكابها إلا بالشرك، رقم الحديث22، ص14.

[2] – برنشفك، مرجع سابق، ص281.

[3] – إبراهيم جدلة، مرجع سابق، ص69.

[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص389.

[5] – نفسه، ج2، ص384، 385، 402.

عوراتهم وما يسمح لهم بأداء الصلاة[1]، أما البرزلي فقد أشار إلى الكسوة في نوازل كثيرة منها فالجارية تحظى بقميص مدته ستة أشهر ووقاية ومتاع وقُرُقٌ لشتائها ولفافة سابقة لرأسها[2] ومقنعة[3] تجمع بها رأسها وصدرها مدته أربعة أشهر فإن لم تكن مقنعة فخمار فإن لم تكن فإزار تقذفه على رأسها وتجم به ثيابها، كما لها الحق في خفان وجوربان وفرو(كساء يتخذ من أوبار الإبل) لمدة سنتين ثم يجدد[4] أما الكساء والجية فهي لسنتين حيث يفرض لها اللحاف ليلا[5] كما تلبس الخملة[6] وسراويلان لمدة عام وملحفة لمدة ثلاث أعوام.

وللخادم والصبيان قميصان رقيقان جديدان وزوجا سراويل جديدان من الثوب الثلث وزوجا قرق جديد لمدة عام وللصبي غفارة جديدة وكل هذه الكسوة تؤرخ فإذا تمت آجالها جددت سواء بليت أو تلفت أو بقيت[7].

2.1 مسكنهم وزواجهم: لقد أهملت المصادر الحديث عن مساكن الرقيق خاصة الجواري والعبيد لكن ما يميز العصر الوسيط خلال العهد الحفصي وجود ثلاث أصناف هي الخيمة والكوخ والدار(البيت)[8] الذي امتاز بالبساطة ومن المؤكد أنهم يسكنون مع أسيادهم في القصور أو المنازل أو يخصص لهم سكن خاص يسمى بيت الخدم[9]، وكما كان لزوم الطعام الطعام واللباس على السيد فكذلك المسكن وهذا ما ورده البرزلي في نوازله حيث أفادنا بأنه يدفع مبلغ ضئيل مقابل ذلك فالصبي له دار السكن بنصف مثقال الخادم، وفي البنت نحو

---

[1] – أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401ه/1981م، ص366.

[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص388–389.

[3] – **مُقَنَعَة:** ما تغطي به المرأة رأسها ...ينظر: البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص403.

[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص403.

[5] – نفسه، ص385، 389.

[6] – **الخُمَلة:** ثوب من الصوف المخمل...ينظر: البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص403.

[7] – نفسه، ص385.

[8] – برنشفيك، مرجع سابق، ص295.

[9] – إبراهيم جدلة، مرجع سابق، ص85.

خمسة أعوام درهم للسكن وستة دراهم ما بين صرف حصة الخادم وللأم سكن[1]، وقد وجد في في السكن فراش وإزار ولحاف ولبدة يفترشونها في الشتاء ووسادة وسرير في الصيف خوفا من العقارب والحيات والبراغيث والفئران، وحصيرة حلفاء أو حصيرتان من بردي وكذلك الأفرشة من النطع وهو ما يفرش من الجلد والسبيتة هو الجلد المنزوع من الشعر.

إن الشريعة الإسلامية قد اعترفت للرقيق بحقهم في الزواج وقد سماه البرزلي في كتابه بالوطء والنكاح والبناء[2] ولقد زودنا كتابه المسمى بـ جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام المعروف بفتاوى البرزلي، حيث أشار أن زواج الجواري والعبيد يكون إلا بإذن سيدهم لقوله تعالى: چڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ[3] فالمولى هو المسؤول عن زواجهم على حسب ما ذكر القيرواني" لا نكاح لعبد ولأمة إلا بإذن السيد"[4] الأمة لا نكاح لها بغير إذن سيدها أو من فيه بقية رق[5] فأبيح للمولى الذي يملك إماء أن يزوجهن بمن يتقدم إليهن وذلك لقوله تعالى : چأ ب ب ب ب ب پ پ پ چ[6] وقد حدد صداق الأمة إلا بأقل من ثلاثة دراهم[7] وقد ذكر أن نكاحها خير من الزنا[8]، فالسيد نفسه يتزوج من جواريه جواريه فيسمى نكاح المتعة[9] وإذا أنجبت منه ولد سميت بأم الولد[10].

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص384–385.
[2] – نفسه، ج2، ص389، 403، 428.
[3] – سورة النحل، الآية 75.
[4] – بنمليح، مرجع سابق، ص279.
[5] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص430.
[6] – سورة النور، الآية 32.
[7] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص430.
[8] – نفسه، ج6، ص160.
[9] – نفسه، ج2، ص199.
[10] – نفسه، ج5، ص197.

أما العبيد يجب استئذان المولى في زواجهم وذلك لما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم" أيما عبد تزوج بغير إذن مولاه (أو مواليه) فهو عاهر"[1] لأن العبد مملوكا لا أمر له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم " العبد ما في يده لمولاه"[2] حيث يجوز للعبيد أن يتزوجوا من الإماء والحرائر كما يوجد من السادة من زوج بنته من عبده[3].

2 مكانتهم:

1.2 نظرة العلماء والفقهاء: لطالما كان الإسلام دينا يهتم بجميع الجوانب الدينية والدنيوية من خلال قواعد ثابتة من القرآن والسنة النبوية، ولقد اعتبر الإسلام الرق عارضا وعمل على إزالته ففتح الأبواب للعبيد الرقيق الحرية ومن هذه الأبواب:

- **العتق:** (تحرير رقبة) فالأجر لمن يعتق الرقاب له ثواب عظيم[4] قال تعالى:چڃ ڃ گ گ گ ڳ ں ڻ ڻ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ چ[5]وقال صلى الله عليه وسلم " من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من أعضائه من النار"[6] ولقد جعله الإسلام وسيلة للتكفير[7] ومن هذا نجد نازلة عن عتق الذكر والأنثى من عبيد المسلمين سواء أم لا، فأجاب الأكثر ثمنا أعظم أجرا لقوله صلى الله عليه وسلم" أفضل الرقاب أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها"[8] وإذا استوى الصنفان في الثمن والغبطة فعتق الذكر الذكر أفضل بما خصه الله به وفضله عليها من الجهاد والشهادة والإمامة[9]، فالإمامة جائزة جائزة للعبد ووضح الفقهاء عدم التفريق بين العبد والحر فهذه مسألة إذا صلى بهم عبدا

---

[1] – أبي العلا محمد عبد الرحمان ابن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1990م، باب ما جاء في نكاح العبد بغير إذن سيده، رقم الحديث 1111، ص210.

[2] – ابن كثير، ج2، ص262.

[3] – البرزلي، مصدر سابق، ج6، ص13.

[4] – شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، ط5، دار الفكر، سوريا، 1982م، ص189.

[5] – سورة البلد، الآية 8–13.

[6] – البخاري، مصدر سابق، كتاب العتق، باب العتق وفضله، رقم الحديث 2517، ص312.

[7] – شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص190.

[8] – البخاري، مصدر سابق، كتاب العتق، باب أي الرقاب أضل، رقم الحديث 2518، ص312.

[9] – البرزلي، مصدر سابق، ج6، ص6.

الجمعة، فأفتى البرزلي بقوله صحيحة حتى وإن صلى خلفه مالكه أو سيده[1]، وفي نازلة من من عقدت لمملوكتها عتقا بعد وفاتها فعليها العتق لقوله صلى الله عليه وسلم" المسلمون عند شروطهم" وكذلك أن أم الولد من ثبت حملها تعتق على واطئها وهو الحر حملها[2].

- **المكاتبة:** أي عقد بين السيد والعبد نظير حريته ودفع مال، فالفقهاء والعلماء يرون أن المكاتبة واجبة إذا طلبها العبد استنادا لقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ[3] وبعد المكاتبة تعطى العبد الحرية وحق العمل لنفسه فلا يعمل لسيده[4] ومن بين مسائل المكاتبة في كتاب البرزلي نجد على أن الكتابة هي تسمي السيد والمكاتب وجنسه ونعته ولونه وعدد الكتابة وصفتها وحلولها وتنجيمها وتذكر أنه إذا أدى أخر نجم خرج حرا كقوله أنت حر.
- **التدبير:** وهو أن يوصي السيد بأن يكون عبده حرا بعد موته[5] وسمى كذلك لأن السيد تدبر أمر دنياه ليعاونه وآخرته بتكثير حسناته والتبرع والفقهاء والعلماء يحثون[6] عليه كما أورد البرزلي أن من عنده صبي بقول إنه عبدي فلما بلغ قال إنه حر[7] وفي نازلة أخرى عقدت عقدا لمملوكتها قبل وفاتها فقيل عتقها بموت السيدة[8].

2.2 **نظرة الأمراء والسلاطين:** إن الطبقة العليا في بلاد المغرب هي الطبقة الحاكمة والتي يطلق عليها أسماء كثيرة كالأمير والسلطان وغيرها، حيث يركزون على فئة الجواري والعبيد بمختلف ألوانهم وأجناسهم، و يختارون منهم الحسان خُلُقا وأَخْلاقا فالجواري الجميلات هن

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص433.
[2] – نفسه، ج6، ص5، 9.
[3] – سورة النور، الآية 33.
[4] – شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص190–191.
[5] – البرزلي، مصدر سابق، ج6، ص51.
[6] – شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص191.
[7] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص189.
[8] – نفسه، ص9.

للوطء والمتعة[1]، وإذا أنجبت منهم أولاد يصبحن أمهات أولاد لا يبيعها حتى لو أسقطت[2]، كما أشار البرزلي في حادثة عن أمير بإفريقية يرغب في دخوله الحمام مع جواريه دون ساتر وهذا ما يدل على تعسف وعدم حياء الأمراء، وهذا ما ينفيه ديننا الحنيف[3]، كما كانت الجواري تتهادى بين الأمراء وكانوا يشترون العبيد للخدمة، ويتبعون الأمير في دينه وتفكيره ولا حق لهم أن يغيروا من تفكيرهم وعلى السلطان أن ينزل عليهم العقاب ما يشاء لأنه يملكهم ملكا كاملا، مما دفع هذه الفئة أن تدفع رفض الظلم إلى درجة قتل السلطان نفسه وهذا ما أخبرتنا به المصادر أن هناك سلطان قتله عبده نتيجة شك الأمير على أنه يتحرش بحريمه[4]

3.2 نظرة عامة للناس: كانت فئة الرقيق بمختلف شرائحها تحظى بنظرة دونية أي أنها الفئة المهمشة في المجتمع، وقد اقتصرت نظرتهم على الخدمة المنزلية ومرافقة السيد في تنقلاته وغير ذلك من المهام التي سكتت عليها المصادر مثل أخذ السيد إلى المرحاض لقضاء حاجته كما تصر الزوجة على وجود أمة وإماء إلى جانبها في البيت لتدبير شؤونه[5].

كما تعرضت هذه الفئة إلى معاملة قاسية مثل الضرب وهذا ما نجده في نازلة تتحدث عن مملوكة شكت إضرار سيدها إلى درجة علامات الضرب ظلت واضحة في جسدها[6]، وكما أن العبيد لا يخرجون عن طاعة أسيادهم والدليل في هذه المسألة أن السيد أمر عبده بقتل فلان فقتله وقد يتعرضون إلى القذف بالزنا وأن هناك من قذف وقيل له بابن الزانية[7]، فهذه

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص355.

[2] – نفسه، ج6، ص29–30.

[3] – نفسه، ج4، ص8.

[4] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج1، د.ط، دار الكتاب، دار البيضاء، 1418هـ/1997م، ص85.

[5] – بنمليح، مرجع سابق، ص287.

[6] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص192.

[7] – نفسه، ج5، ص152,115.

الفئة تتعرض إلى تعسف وألم جسدي ونفسي كما شهدت التمييز ضدهم خاصة في لون البشرة، وهذه نازلة في أمة سوداء إلى درجة أنها لم تباع وحتى سيدها تبرأ منها[1].

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص295.

الفصل الثالث

دور الجواري والعبيد في الحياة العامة

المبحث الأول: أهم مساهماتهم

المبحث الثاني: نماذج مختارة من نوازل البرزلي

الفصل الثالث: دور الجواري والعبيد في الحياة العامة

المبحث الأول: أهم مساهماتهم

شهد تاريخ المغرب خلال العصر الوسيط مجريات سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وثقافية هامة خلال العهد الحفصي وقد كانت لفئتي العبيد والجواري بعض المساهمات في الحياة السياسية وإن كان دورا محتشما فقد اقتصر وجودهم في الغالب داخل القصور والمنازل وهي الصفة الغالبة وهذا ما أفادنا به البرزلي في نوازله الفقهية.

1- الدور السياسي والعسكري

1.1 **مكانتهم سياسيا:** لقد شكل الجواري والعبيد جزءا هاما من المجتمع الحفصي فالنوع الأبيض منهم يعيش أغلبهم لدى أرباب الدولة أما النوع الأسود منهم استعمل أساس في الخدمة وهذا ما سمح لهم بأن يتقلدوا في مناصب عديدة كالوزارة والبلاط والشرطة والحراسة خاصة القوافل التجارية[1]و الأمير إلى جانب الحجابة وهي وظيفة يتولاها الحاجب وهو من العبيد الموثوقون منهم من قبل السلطان تقتصر مهمته بأن يتولى الإذن للناس بالدخول إليه حفاظا على هيبته وأمنه كما تقلد هذا المنصب أبناء الأسياد وتوارثته العائلة الواحدة في بعض الأحيان مثل تافراجين[2] كما كلف السلطان أبي بكر بن يحي أحد عبيده المدعو عنبر الخصي أمير على الحرم[3].

وتذكر المصادر بان هناك قائد من العلوج اسم القائد بنيل الذي قام باتساع نفوذه في الاستيلاء على الأراضي وجمع الأموال في عهد السلطان أبي عمرو عثمان هذا الأخير

[1] – إبراهيم جدلة، مرجع سابق، ص243.

[2] – برنشفيك، مرجع سايق، ج1، ص196.

[3] – ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، مصدر سابق، ج6، ص522.

الذي زاد في اعتماده على العلوج وهم من المماليك المحررين وكانوا على رأسهم قائد وقد شكلوا حرس السلطان ونذروا أنفسهم لخدمته[1].

كما حظيت الجواري بمكانة محببة لدرجة العشق من طرف السلاطين إما بسبب جمالهن أو اتقانهن مهن معينة وفيهن من قد نجحت في استمالة الأمير فسميت بجواري المتعة حيث لا يسمح للسيدات أن يطلب منهن خدمة أو غلة أو استسقاء بل المتعة فقط[2] وإذا حدث حمل يحظين باسم جديد وحرية ومكانة لدى السلطان وتسمى بأم الولد[3].

فقد أسندت لهذه الفئة كذلك مهمة جلب الأخبار والتجسس للسلاطين أثناء تنقلاتهم ودخولهم وخروجهم في القصور والأسواق وكان من المعروف منذ القدم أن هذه الفئة قد شاركت في عملية القتل والاغتيالات السياسية والتي في الغالب أدت إلى إنهاء حياتهم من أجل إخفاء الحقيقة ودفنها معه[4].

2.1 مكانتهم عسكريا: استفاد المجتمع المغربي من خدمات الرقيق خاصة الجواري والعبيد حيث اعتبروا قوة يمكن تسخيرها والاستفادة منها سواء في القصور أو خارجه، وقد كانت لهم مشاركة في المواجهات العسكرية،[5] كما استغلالهم كطاقة حربية لحاجة الدولة في الغزو والجهاد وقد أشار البرزلي بسماح مشاركة فئة العبيد في الغزوات[6]، كما شارك السلطان الشاب محمد المنتصر في مواجهته بجيش من العلوج والسودانيين يقودهم عبدا يسمى مصباح الطويل، كما عقد أحد السلاطين الحفصيين المسمى بأبو حفص عمر الأول معاهدة مع القطلوني المبحر من صقلية على أن يتم توظيف قائد للعلوج منهم على مدينة تونس أما في عهد السلطان الحفصي كذلك أبي فارس عبد العزيز الذي جهز حملة لمعاقبة جزيرو مالطا

---

[1] – محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م، ص604 ... ينظر: musee mat@defense.tr

[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص197.

[3] – نفسه، ج6، ص28.

[4] – بنمليح، مرجع سابق، ص501.

[5] – إبراهيم القادري، الإسلام السري في المغرب العربي، ط2، سينا للنشر، مصر، 1995م، ص231.

[6] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص5.

التي كانت في كل مرة منطلقا لمواجهة السواحل الإفريقية وكان قائد هذه المواجهة مملوكه يسمى رضوان وقد جند لهذه المواجهات جيش تكون من فرقتين الأولى سميت بالحشم وهي تضم العبيد والسبايا، أما ببلاد فقد سموا بالجيش والجند والحرس والأتباع، والثانية سميت بعيد المخزن[1] وهي تطلق على حرس الأمير من العبيد مسلحون بالسيوف والدروع يحيطون بالسلطان ورايته البيضاء يستخدمون في رحيله للحملات العسكرية، كذلك يوجد فرق من المشاة والفرسان والرماة كما ضمن المرتزقة المسيحين في خدمة السلطان الحفصي المستنصر وقد توغلوا في الصراعات الداخلية للدولة والخارجية[2].

3.1 مشاركتهم في الأعياد والاحتفالات : لقد شارك الجواري والعبيد في هذه المناسبات مع أسيادهم وسلاطينهم فقد كانوا يخرجون أثناء موكبه للاحتفال معه في الأعياد والأسفار والحروب وفي منتصف القرن 8هـ/14م يمر موكب السلطان راكبا وينتهي موكبه بالعبيد السود عليهم جببا بيضاء ومتقلدين بالسيوف وبأيديهم حراب في رؤوسها رايات من حرير[3]، وكذلك الجند خاصة فرقة عبيد المخزن هي تشارك في خروجهم في صفوف منتظمة والعلوج التي تحرس السلطان شخصيا كما يطلقون عيارات من النار ويعملون على إدخال الفرح لعامة الناس ويلعبون بالطبول والمزمار وألعاب الفروسية، كما كلفت لهم مهمة تنظيف وتقطيع الأضحية ويخصص لهم نصيب من ذلك[4] أما الجواري منهن فقد شاركن في إعداد الطعام والحلويات التي كانت تطهى في هذه المناسبات مثل الكعك والسفنج والمقروض

[1] – محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص176، 565.

[2] – إبراهيم جدلة، مرجع سابق، ص228.

[3] – نفسه، ص202.

[4] – سامية يخلف، الأعياد والاحتفالات في الغرب الاسلامي من القرن 2هـ/9م إلى 9هـ/15م، رسالة ماستر، قسم التاريخ، التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة 8ماي 1945، الجزائر، 1438هـ/2016م، ص28.

وغيرها إضافة إلى إعداد لبسيسة والعصيدة والدشيش والكسكس[1] كما شاركوا في أعياد النصارى واليهود مثل عيد المهرجان وعيد النيروز وعيد رأس السنة الميلادية وغيرها[2].

2- الدور الاقتصادي

استطاعت فئة الرقيق(الجواري والعبيد) أن ينصهروا داخل المجتمع المغاربي حتى أصبحت عنصرا فعالا كما يساهم فانتعاش اقتصادها.

1.2 **الزراعة:** وهو أول نشاط عرفه الإنسان منذ القدم يعتمد على استخدام الأرض والعمل فيها يحتاج إلى جهد عضلي مما يؤهل فئة العبيد لذلك رغم قلة المعلومات عن هذه الفئة إلا أننا استطعنا أن نستوفي في ايصال بعض المعلومات عن دورهم في المجال الفلاحي، ومن المعروف أن أغلب السلاطين والأمراء والفقهاء يستحوذون على أراضي كبيرة وشاسعة مما حتم عليهم توفير أيادي عاملة زراعية كما كانوا يحرسون البساتين ليلا أو نهارا بالتناوب[3] للقيام بتنقية الأرض وتقليبها ونثر البذور فيها بداية من حرثها إلى حصادها[4] ومن أهم المحاصيل التي ميزت العهد الحفصي الشعير، القمح، وهذان النوعان من الحبوب هما الأكثر استهلاكا من غيرها إلى النخيل والزياتين في موسم الجني والبستنة التي تضم الخضر والثمار والحمضيات ويخدمها المهاجرون الأندلسيين، كذلك النباتات الصالحة لعلف الماشية وزراعة الكتان والقطن وكل هذه الزراعات[5] تحتاج إلى الماء مما أجبر العبيد على حفر الآبار لوفرة الماء ففي البادية تعمل الجواري على جلب الماء من العيون والآبار وعمل العبيد في المزارع يشتمل على تحريك الناعورات المستعملة في السقي وإصلاح المحاريث[6] وكذلك من مهامهم تربية الحيوانات منها المواشي، الأبقار، الإبل، الغنم، الخيول، النحل، الدجاج،

[1] – برنشفيك، مرجع سابق، ص282-283.
[2] – المؤنس، مصدر سابق، ص300-301.
[3] – برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص207.
[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص31.
[5] – برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص457.
[6] – البرزلي، مصدر سابق، ج6، ص32.

الإوز، يقومون برعيها وحراستها وتنظيف الاسطبلات[1]، إضافة إلى صيد الأسماك والتن والإسفنج والخز والمرجان[2] كما يسند ارباب الأرض أمر بساتينهم وأراضيهم إلى عبيدهم إن كانوا بعيدين عنها لدرجة أنهم ينوبون عنهم في تدبير أمورها، وقد شاع في العصر الوسيط استئجار المالك عبدا لديه خبرة وإتقان في المجال الفلاحي[3].

2.2 الصناعة: لقد نشطت الجواري والعبيد الحركة الاقتصادية وذلك بما تمتعوا به من حرف وصناعات وهذا ما جعل أسعارهم مرتفعة وكثر عليهم الطلب، والعبد الذي يتقن حرفه معينة يسمى بالعبد الصانع ومن أهم هذه الصناعات الحرفية خلال العصر الوسيط وتحيدا في العهد الحفصي تمثلت في الصناعات النسيجية والغزل[4] حيث يخرجن بالصوف ويغمرنه في ماء المواجل[5] ويشاركن بعضهن البعض في عملية النسيج في المنازل[6] وهناك من عملت عملت منهن أعمال أخرى كالماشطة وطبخ وبيع الحناء كما اشتغلن بطحن الحبوب من قمح وشعير ليصنع منه خبزا[7].

أما الأعمال الصناعات الشاقة منها فقد ركزت على فئة العبيد خاصة الذكور، ولعل وفرة السبي نتيجة الحروب الإسبانية والإيبيرية وراء توظيفهم في المشاريع الضخمة كحفر الخنادق ونقل الحجارة والآجر كذلك الاشتغال في المناجم خاصة مناجم الملح والبناء والنجارة وفي أفران طهي الخبز وقد مثلتها فئة تسمى بعبيد المخزن، وقد خصصت كل حرفة سوقا خاص بها يحمل اسمها، ورغم جهدهم في تحريك وانعاش الصناعة إلا أنهم اعتبروا سلع تتحدد أسعارهم حسب أصلهم وحسب المهن التي يتقنون فيها، كما قوبلت بنظرة دونية على غرار

[1] – نفسه، ج4، ص311.
[2] – برنشفيك، ج2، ص459.
[3] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص30.
[4] – نفسه، ج3، ص307.
[5] – نفسه، ج5، ص407.
[6] – نفسه، ج2، ص568.
[7] – نفسه، ج5، ص31.

الفئات الأخرى[1] جراء المهن الخسيسة والدنيئة التي قد مارسها بعض العبيد كالدباغ والحجام والجزار والمحرك، الكناس، الزبال، الحكاك...إلخ[2]

3.1 التجارة: اشتغل الرقيق بالتجارة الداخلية والخارجية منها، حيث أثبت الجواري والعبيد جدارتهم فيها من خلال تكليف ساداتهم على ذلك أما ترفعا أو تعهد وقد تكون على مسافات بعيدة، كما يسمح للعبد بأن يحصل على إذن مولاه في ممارسته للتجارة يحصل على إذن مولاه بالتجارة وذلك مقابل آداء ضريبة معينة لسيده الذي هو الآخر قد يمنح هذا العبد العمل في التجارة إما دينا أو نقدا وقد يحصل العبد على ميراث من سيده بعد عتقه ويسمى بالعبد التاجر[3]، ومن الأعمال التي قاموا بها حمل السلع وامتهانهم لعملية البيع ونقل الغنائم وأمتعة الجند وأمتعة السادة، كما يحمل العبد فوق رأسه حوالي ثلث قنطار من الأمتعة إضافة إلى زاد السفر، كما لا نهمل فئة الإناث من الرقيق التي حققن دورا هاما في الاقتصاد المحلي والمشاركة في الحياة العامة فقد أتقن الطبخ كما قال البكري:" بها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة بمئة مثقال وأكثر تحسن عمل الأطعمة الطيبة من الجوزينقات والقطائف وأصناف الحلويات وغير ذلك"[4] كما عملن في الحمامات لزوال الأوساخ وصلاح البدن ونحو ذلك ويستعمل في الغسل بالحمام العسل واللبن والنخالة والشعر بالتمر والزبيب ويغسل الرأس بالبيض والأيدي بالأرز[5].

3- الدور الاجتماعي والثقافي: كون الرقيق جزءا هاما من حاشية الأمراء والسلاطين والعلماء والوجهاء حيث تميزت فئة الجواري والعبيد بالولاء والخدمة والطاعة لأسيادهم.

---

[1] – عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ/1983م، ص215.

[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص238.

[3] – نفسه، ج6، ص217.

[4] – أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص345.

[5] – البرزلي، مصدر سابق، ج1، ص27، 200، 201.

1.3 الخدمة الاجتماعية للأسياد: تعددت الخدمات التي قدمتها الجواري والعبيد في القصور والمنازل سواء داخله أو خارجه، كما شارك في هذا العمل ذكور[1] وإناثا بمختلف أصنافهم وأنواعهم فالخصيان قد استخدموا في السهر على الخدمة في القصر مع حريتهم كذلك الغلمان يعيشون في القصور ويشاركون مجالس الأنس واللهو ويقدمون الشراب ويمارسون الغناء والزمير، أما القينة وهي الجارية التي تغني وترقص وتشعر وتقرأ القصص عند نومه وفيهن من تقوم بإعداد طعام سيدها وشرابه[2]، وأخرى كلفت بفتح الباب واستقبال الضيوف وقد تشاركه في جلساته مع علمائه وفقهائه وهناك من تمشي ورائه أو تحيط به وفي حالة غيابه أو سفره من تنوبه وتقضي حاجة السائلين بدله كما اهتممن وأولين عناية بهيئة السيد ولحيته وتزيينه وتطيبه قبل الخروج وهذا ما سمح للأسياد بأن يطلقوا عليهم مسميات تكون ملائمة حسب نوع الخدمة التي يقدمونها إليه إضافة إلى أن هناك من استنكف بغسل الموتى[3].

كما كان العلماء والوجهاء يقتنون الرقيق لمساعدتهم في أداء خدمتهم كذلك زوجات الأسياد من طلبت إحضار من يساعدها وهذا ما أورده البرزلي بأنه يحق للزوجة أن تطلب من زوجها توفير خادم ليساعدها على شؤونها وهناك أيضا سيدة اشتكت زوجها للقاضي بسبب وجع في يدها مما فرض عليه جلب خادمة لها[4].

هناك أعمال أخرى قام بها العبيد والجواري تمثلت في طحن الحبوب ليلا والعجين وإعداد الخبز والكنس وغسل الثياب وخياطة الملابس من نسيج وغزل وتوفير الماء من السقايات في حين من عملوا على جر عربة السيد وقطف الخشب[5]، ويرافقون السيد إلى السوق وهناك من من يحمل المظلة وفي المناسبات يقومون بالذبح والسلخ، كما اشتهرت الإماء بالطبخ خاصة

---

[1] – نفسه، ج3، ص355.

[2] – نوارة شرقي، لمحات من الواقع الثقافي للجواري في الغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين، مج6، ع2، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقية، جامعة ابن خلدون، جوان 2023م، ص124.

[3] – وفاء الدريسي، مرجع سابق، ص131.

[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج2، ص359.

[5] – وفاء الدريسي، مرجع سابق، ص132.

طبخ الهريسة ومما أشار إليه البرزلي أن سيدا أعجب بطبخ خادمه فأكرمه وحرص على أن يبقيه هو الطاهي[1] وقد أثنى الجاحظ على الإماء بقوله:" من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالإماء دون الحرائر".[2]

2.3 التنشئة والتعليم: لم يقتصر دور العبيد والجواري على الخدمة فقط بل منهم من عمل على تربية وتنشئة أبناء السلاطين، لذا اسندت هذه المهنة إلى الإماء بناء على خصال تميزن بها هي فالبربرية للذة والزنجية للرضاع والنوبية مهمتها تربية الأطفال وحفظ النفوس، كما أن رضاع الأبناء من الإماء ساهم في اختلاط الأنساب وانصهاره والمحبذ في الأمة المرضعة أن تكون من ذوات البشرة البيضاء لكي لا ينفر منها الطفل إن كانت سوداء[3] أما النوبيات من جنس فيه رحمة وحنين على الولد وتسمى بالحاضنة[4]، فالاحتفاظ بهم مدة كبيرة قد يؤدي إلى تعلق الأبناء بهن ويتركن أثرا كبيرا في نفوس الأولاد مما يؤدي إلى حدوث تآلف بينهم، وهناك نوع آخر من العبيد سمي عبيد أوصياء كلفوهم أسيادهم على أبنائهم.[5]

لقد أقدم السلاطين والتجار على تعليم الرقيق وذلك بأن غاية التجار هو الرفع من أسعارهم أما السلاطين فقد أقروا على تعليم الجواري والعبيد في سن مبكرة وإرسالهم مع أبنائهم سعيا منهم إلى إدماجهم في المجتمع وتحقيق مراتب عليا عند نبوغهم، كما كان التعليم في العهد الحفصي مر بمرحلتين هما الأولى الكتاب والمساجد والجوامع والمدارس وقد كانت أول مدرسة أسسها أبو زكرياء يحي الأول بين سنتي (634هـ-647هـ/1236م-1249م) وسميت بالمدرسة الشماعية، كما ساهمت الأميرة عطف والدة السلطان أبا زكرياء يحي في تأسيس المدرسة التوفيقية وجامع التوفيق، وكان الصبيان من أبناء السادة ورقيقهم

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج2. ص447.

[2] – أبي عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ البصري، كتاب المحاسن والأضداد، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1324هـ، ص253.

[3] – وفاء الدريسي، مرجع سابق، ص134.

[4] – فاطمة بوزاد، مرجع سابق، ص153.

[5] – بنمليح، مرجع سابق، ص301.

يتعلمون الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية والإعراب وغيرها[1]، حيث أوردنا البرزلي أن ابن سحنون أكره من تعليم الجواري ويخالطهم مع الغلمان.[2]

لقد اهتمت الدولة الحفصية بالجانب الثقافي(الفكري) في حواظرها وخاصة العاصمة تونس وبجاية لأنها تعد من أبرز مراكز العلم وقد شجع السلاطين والأمراء والعلماء والأدباء فقد قام السلطان المستنصر بالله الحفصي 647هـ-675هـ/1249م-1277م باستدعاء المشاهير من كتاب وعلماء وشعراء كما نجحت بعض الشاعرات في الإنتاج الأدبي النسائي زينب التجانية، سارة الحلبية، أم علاء العبد ربه، الشريفة عائشة ببجاية وآسيا بنت عبد الرحيم بن طلحة، حيث حظين بدور ضئيل في الجانب الشعري خلال العهد الحفصي[3] وإن دل هذا فإنه يدل على أنه قد كان للجواري دور في هذا المجال وخاصة الموسيقى والغناء[4] التي كان الأمراء والأثرياء يتسابقون في اشتراء الأصوات الجميلة، وأشار البرزلي أن كل ما يجمع العبد بين يدي مولاه فهو مباح كسماع الصوت الحسن والنغمة الطيبة لأن سماع الصوت الطيب محمود[5] وكان كثير من سلاطين بني حفص يستمعون داخل قصورهم إلى بعض الجواري المغنيات والموسقيين البارعين فالسلطان أبو عبد الله بن الحسن فقد كان يشعر بالنشوة بين المغنيات والعازفين والنساء اللائي يحذقن الغناء "وعندما يريد أحد أن يغني بمحضره يأمر بإغماض عينه بعصابة ... ثم يتوجه نحو النساء اللائي ينتظرنه" وكانت الموسيقى الرائجة في البلاط هي الأندلسية وهي موسيقة راقية ومهذبة التي جلبها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز إلى إفريقية إلى جانب الرقص كان منتشرا على نطاق واسع داخل البيوت والقصور.[6]

---

[1] – إبراهيم جدلة، مرجع سابق، ص276.

[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص577.

[3] – إبراهيم جدلة، مرجع سابق، ص262-263.

[4] – البرزلي، مصدر سابق، ج3، ص288.

[5] – نفسه، ج6، ص409.

[6] – برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص433-434.

3.3 النظافة والتداوي: استخدمت الجواري والعبيد في الخدمة داخل القصور والمنازل والحمامات والبساتين حيث يتطلب تنظيفها جهدا كبيرا وعددا هائلا من عبيد الخدمة، وقد اشتهرت تونس في العهد الحفصي بكثرة الحمامات[1] التي تعمل على زوال الأوساخ وصلاح الأبدان وعلاج بعض الأمراض خاصة منها النفساء أو مريضة ويتم ذلك باستخدام مواد وأعشاب كثيرة منها العسل، اللبن، النخالة، التمر، الزبيب، البيض، الأرز[2]، وفي البادية حيث لا تتوفر الحمامات يخرجون جماعات إلى الروائغ في الوديان التي تصنعها السواقي للطهر أو الوضوء أو لغسيل الثياب[3] وكذلك يتداوون بالحناء[4]، وتذكر المصادر أن الخادمة سارة الحلبية في زمن الحفصيون اشتهرت في تطلعها في الطب[5] وهناك من تداوي بالقرآن الكريم عن طريق الرقات وحكى لنا البرزلي قصة الشيخ الصالح القرنبالي الذي كانت تقصده فئة من النساء وكذلك الوسواس ونفر الزوج من زوجته أو العكس، كما تمت معالجة المصروعين بالجنون بالعزائم والخواتيم وهذا التداوي عادة ما يمارسه العرافين، ويوجد نوع آخر من التداوي لا يزال إلى اليوم يمارس عند المسلمين وهو الحجامة[6].

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج4، ص434.

[2] – نفسه، ج1، ص207.

[3] – نفسه، ج4، ص434.

[4] – نفسه، ج2، ص58.

[5] – برنشفيك، مرجع سابق، ص179.

[6] – البرزلي، مصدر سابق، ج6، 231، 408، 409.

المبحث الثاني: نماذج مختارة من نوازل البرزلي

إن المتتبع لنوازل البرزلي يجد أنها ضمت أزيد من 100 نازلة متعلقة بالجواري والعبيد وقد نقلت لنا هذه النوازل بصدق جانبا هاما من جوانب هذه الفئة المهمشة التي غفلت عن ذكرها كتب التاريخ السياسي كما قدمت لنا هذه النوازل صورة حقيقية تحمل في طياتها الحياة البسيطة التي كان يعيشها عامة الناس في تعاملهم مع هذه الفئة من المجتمع، وقد آثارنا أن نعرض في هذا المبحث نماذج من نوازل البرزلي التي عالجت بعض الحوادث اليومية المتعلقة بالجواري والعبيد.

1- مسائل من البيوع:

1.1 أورد البرزلي في كتابه أن سئل المازري في نازلة التي كانت من عامة الناس عمن اشترى خادما فشهدت امرأتان أن لها حملا فردها إلى البائع ثم بعد أن تأكد أن حملها كاذبا باعها لامرأة لكنها بعد ذلك أرادت ردها هي الأخرى لأن النفخ الذي في بطن هذه الجارية وإن لم يكن حملا فإنه مرض يتسبب للجارية المباعة بإخراج الدم من صدرها، فلما علمت المرأة من أمر الجارية ذلك أرادت ردها للبائع بسبب هذا العيب فكان الإجابة هنا من المفتي بأن عليهم أن يسألوا الخبراء بذلك ليحددوا زمن الإصابة بالمرض الذي يظهر على هذه الخادمة فإن أقر أهل الخبرة أن هذا المرض قديم أي قبل أن تشتري المرأة هذه الخادمة وأما إن أثبت أهل الخبرة أن هذا المرض إنما وقع بعد أن اشترت المرأة هذه الخادمة فليس لها أن تردها إلى البائع فإن التبس عليهم الأمر فلم يتبين لهم أن هذا المرض قبل التبايع أو بعده يلجأ لفض الخلاف إلى القسم وذلك بأن يحلف البائع بأن هذا المرض لم يكن عند الخادمة لما كانت يملكها وهذه الصيغة تقال إذا كان المرض المذكور من الأمراض التي يمكن مشاهدتها وتظهر على صاحبها، أما إن كان المرض خفيا لا يمكنه ملاحظته فإن البائع يحلف أنه لم يكن له علم به.

والملاحظ مما تقدم ذكره أن الحمل يعتبر عيبا ترد به الجارية في البيوع لأن الحمل يترتب عليه الكثير من مسائل العتق فالأمة تحرر بابنها، كما تترتب عليه مسائل الولاء وما ينجر عنها من مسائل الميراث، واللافت للانتباه أن الفقهاء غالبا ما كانوا يستعينون بأهل الخبرة في المسائل التي تحتاج إلى تخصص ولم يكونوا يستبدون برأيهم بل كانوا يشاورون غيرهم حفاظا على حقوق الناس من الضياع ويظهر من هذه النازلة ما كانت تتمتع به المرأة من ذمة مالية مستقلة ومن حرية اجتماعية تمكنها من امتلاك ما تشاء حتى العبيد ولها أن تعقد الصفقات وتبيع وتشتري وترد ما فيه عيب بل حتى تستفتي أو ترفع الخصومة إلى الفضاء، كما نلمس من هذه النازلة المكانة التي كان يتمتع بها الفقيه في حل المشكلات المختلفة التي تعرض للناس في حياتهم اليومية.

2.1 سئل المازري عمن قدم بخادمة للبيع وذكر أنه اشتراها من ناحية الجبال فادعت الخادمة أنها حرة بنت حر وأمها حرة وأن منزلها بجبال نفوسة[1] وذكرت أن هناك جماعة يعرفونها وأتت برجل من نفوسة وصل في موكب ذكر أنه يعرفها حرة وأبويها كذلك وأخبرهم أنه سيحضر شهودا على قوله لكنه لم يأت بشيء وأراد سيدها أن يسافر بها لأن الإقامة تضر به[2].

فأجاب سيدها له الحق في السفر بها إذا تضرر من طول الإقامة في البلد لأن شهادة رجل واحد لا تكفي وعلى سيدها إذا باعها أن يعرف من يشتريها بادعائها الحرية، وإذا كان التأكد من صحة كلامها يحدث في الزمن القريب وجب تأخير سفر سيدها حتى يتبين أمرها، فإذا انتهت المدة الموجودة لقدوم الشهود وأراد مالكها أخذها استحلفه القاضي على أنه لا يعلم أنها حرة.

[1] – **جبال نفوسة:** تقع في الشمال الشرقي للدولة الحفصية غرب طرابلس وهو جبل عال به مياه جارية واعناب طيبة وتين غزير سكنتها من أكبر قبائل البربر هي بني مكسور... ينظر: ابن حوقل، مصدر سابق، ص92، وابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص230.

[2] – البرزلي، مصدر سابق، ج6، ص27.

وذكر البرزلي أن صيغة الحلف أن يقف الحالف قائما مستقبلا إلى القبلة ويحضر المصحف ويقسم بالله الذي لا إله إلا هو ما يعلم أن الخادم المذكورة التي في يده حرة ولا ابنة حرة ولا يعلم في ملكها شبهة في ملكه بوجه صحيح.[1]

وقد دلت النازلة على أن استرقاق الأحرار أمر دارج في زمانه مما يوحي بتردي الأوضاع الأمنية خاصة في الجبال والمناطق البادية، كما ترشدنا هذه النازلة إلى الموارد التجارية للمدن فقد كانت البوادي والمناطق الريفية من أهم المناطق التي تزود الحواضر بالسلع المختلفة عن طريق الطرق البرية أو البحرية التي أشارت إليها النازلة.

ولقد نقلنا البرزلي إلى زمانه لنعايش مجريات القسم وأوصافه ونلمس تعظيم المسلمين لدينهم وخوفهم من الله، ففي الوقوف باستقبال القبلة استشعار الله كما في الصلاة بين يدي المصحف تعظيما لكلامه فيرتدع من غلبته نفسه ونيته من وسوس له شيطانه فلا يحلف إلا بصدق.

2- مسائل من النفقة والعتق:

1.2 سئل المازري عن رجل له أم ولد[2] طلب منها خدمة أبيه وأسكنها معه فرفضت أم الولد خدمة أبيه أو السكن معه ولا مع زوجته في نفس المنزل للضرر الذي يلحقها بذلك وطلبت النفقة منه.

فأجاب:

أن على أم الولد أن تخدم سيدها لكن هذه الخدمة لا تكون كخدمة العبيد لأنها تعامل معاملة الحرة فتكون خدمتها له بالشيء اليسير فإن أراد أن يؤثر ولده بما وجب من خدمته

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج6، ص28.

[2] – **أم الولد:** وهي الأمة التي حملت من سيدها الحر والتي ولدت منه ولدا ولو مات حينئذ فهي أو ولد تعتق بمجرد موته وله منها في حياته قليل الخدمة ولا يجوز له بيعها... ينظر: قلعة جي، مرجع سابق، ص68، سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، سوريا، 1408هـ /1988م، ص24-25.

عليه فله ذلك وعليه أن ينفق عليها كما ينفق على زوجته، ولا يجبرها على السكن مع زوجته لما يكون بين الضرائر من غيرة تدفع إلى الشحناء والتدابر له وأن يسكنها مع أبيه إلا أن يثبت ضررها بذلك.

وذكر البرزلي[1] إلى أن أم الولد ليس لها قسم مع الحرة في مبيت الزوج عندها لكن لها حق النفقة كزوجة والسكن فهي كالحرة وإن كانت أقل منها مرتبة.

ويمكن القول أن الوضع الاجتماعي يتغير تماما لدى الجواري بمجرد وضعها مولودا من سيدها فتنتقل من مرتبة العبيد إلى مرتبة أم الولد، ويتغير مع هذا التصنيف الجديد مهامها الاجتماعية فلا تؤمر بالخدمة إلا اليسير منها ولا يمكن لسيدها أن يبيعها بل يلزمه النفقة عليها ويتغير كذلك مظهرها فتؤمر بستر شعرها كما أنها تلبس لباس الحرائر.

لقد بينت هذه النازلة في القضاء في الدولة الإسلامية والحرص على ضمان الحقوق حتى لو كان المشتكي عبدا أو مولى، كما نستخلص منها جانبا إنسانيا هاما وهو حرص الرجل على بر أبيه وطاعته وتوفير سبل الراحة له كما لم تغفل النازلة الجانب الفطري في حب التملك بطلب دار مستقلة وحب الاستئثار بالزوج واو كانت المرأة أقل شأنا بعض الشيء من الحرائر.

2.2 ذكر البرزلي في كتابه أن رجلا سافر وترك ثلاثة جواري مدة ستة أعوام فرفعن أمرهن إلى القاضي وادعين أنهن أمهات أولاد وأن بهن حاجة إلى الانفاق فأعتق القاضي اثنتين منهن ادعتا الولادة من زوجهن، فلما قدم السيد طلب استرقاقهن وأخبر أنهن لم يلدن منه قط، وأن ادعاهم الحاجة إلى النفقة باطل لأنه ترك لهن مالا وكان يرسل إليهن في كل مرة، فهل له أن يرد حكم القاضي[2].

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج5، ص197.

[2] – نفسه، ج2، 356.

فأجيب أن الرجل إذا عجز عن نفقة أم ولده فإن حكمها كحكم الحرائر، فيمهل شهرا فإذا لم يجد مالا ينفقه عليها اعتقت أم الولد لأنه إن تركت من غير انفاق ماتت من الجوع والواجب على القاضي الذي حكم بعتق الجواري أن يطلع سيدهن بالبينة التي بني عليه حكمه أي الدليل الذي قدمته الجواري.

ويذكر بعض فقهاء المالكية أن من غاب عن أمته ولم يوجد ما ينفق عليها ولم يترك لها مالا فإنها تباع، أما أم الولد فتزوج وعلى الرغم مما يقع في مخيالنا من صورة قائمة لحياة الجواري والعبيد إلا أن الحفاظ على حياتهم كان من أولى الأولويات وهذا ما ينته هذه النازلة وإن تضرر المالك فإن الحفاظ على أرواح البشر كان مقدما على الحفاظ على الأموال والسادة، كما بينت النازلة حرص السيد على حياة جواريه مما ترك لهم من مؤونة وبما يرسل إليهن من مال كل حين وإن قابلن ذلك بالنكران فهي من طباع الناس التي تتماشى في كل العصور لكن بشكل متفاوت.

وهناك نماذج كثيرة ومتنوعة للبرزلي فيما يتعلق بالجواري والعبيد ينظر الملحق رقم (03)

خاتمـــــة

خاتمة

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل وتحريره الذي يدور حول الجواري والعبيد في العهد الحفصي من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي والذي حاولنا فيه قدر الإمكان الإجابة عن الاشكالية المطروحة والأهم في الخاتمة هو جمع شتات البحث ومحاولة تلخيص أهم نتائجه في النقاط التالية:

- تميزت بلاد المغرب الإسلامي خلال العهد الحفصي بأن لعبت دورا حيويا من تأسيسها إلى سقوطها كما أثرت ثقافتها بعمق في شمال أفريقيا وتركت بصماتها في مجالات الفنون والإدارة والحكم.
- أفادنا البرزلي بأن المجتمع الحفصي قد شهد وجود طبقية أحدهما حاكمة مثلها السلاطين والأمراء والأخرى عامة الناس وكذلك طبقة مهمشة وهي فئة الخدم والتي كانت في أغلب الأحيان تحت إمرة وطاعة يد أسيادهم.
- بالرغم من الظلم الذي تعرضت له هذه الطبقة من البشر وهي فئتي الجواري والعبيد إلا أنهم ساهوا في العديد من الانجازات واكتسبوا عدة مهارات مختلفة منها التجارية والزراعية والصناعية.
- شكل كتاب البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام مصدرا هاما لما أوجده فيه الفقهاء والعلماء من نصوص ونوازل والتي تنوعت موضوعاتها الفقهية التي ركزت في مسائلها على طبقة مهمشة من المجتمع المغاربي ألا وهي الجواري والعبيد والتي لم تعنى بها الدراسات كما أغفلتها الكتب التاريخية.
- لقد لمسنا بوضوح جهد البرزلي في تدوينه وتصويره لمختلف المسائل والنوازل الفقهية التي تعلقت بالتعاملات سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو الثقافية المتعلقة بحياة الجواري والعبيد خلال العهد الحفصي.

- مثل هذا العمل محاولة لدراسة تاريخ المغرب الإسلامي (المغرب الأدنى) خلال العصر الوسيط خلال القرن السابع هجري إلى غاية التاسع هجري والثالث عشر ميلادي إلى الخامس عشر ميلادي بإلقاء نظرة وتسليط الضوء على فئة غبنتها الذاكرة ورفضت اجتماعيا وهمشت تاريخيا إلا أنه كان لها حضور في المجتمع الحفصي وقد مثلته في فئتي الجواري والعبيد فمنهم من حالفه الحظ في الوصول إلى أعلى المناصب والمشاركة في الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهناك من ظل دوره مرتبطا بالأعمال المنزلية (الخدمة).
- إن الاستفادة من كتب النوازل الفقهية يتطلب من الباحث اطلاعا على العلوم الشرعية لهذا وجب على الباحثين الاستعانة بالفقهاء للاستفادة بشكل أكثر من النازلة في الشق التاريخي من خلال فهم الشق الفقهي لخصوصية المدلولات الفقهية.
- كما نؤكد على أن هذا الموضوع يحتاج منا جهدا مضاعفا ودراسات أعمق في مراحل أخرى.

وفي الأخير نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الكريم وأن يتقبله منا وأن يجزي أستاذنا الذي أشرف على هذا البحث خير الجزاء ، فما كان فيه من صواب فالله وحده ، وما كان من خطأ أو زلل فمن أنفسنا والشيطان .

وصل الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الملاحق

ملحق رقم 01 خريطة جغرافية للدولة الحفصية[1]

[1] – عائد عميرة، كيف حكم الحفصيون تونس لأكثر من ثلاثة قرون، https://www.noonpost.com، اطلع عليه بتاريخ 2024/09/13 على الساعة 00:00.

ملحق رقم 02 صورة من مخطوط لكتاب البرزلي[1]

[1] – البرزلي، مصدر سابق، ج8، ص2.

ملحق رقم 03: المسائل المتعلقة بالجواري والعبيد في كتاب البرزلي

الرقم	مسألة النازلة الفقهية للبرزلي	الجزء	الصفحة
1	يقيم شاهد في عتق العبد	ج1	106
2	قاذف العبد يكشف أنه حر(أمة تعتق تحت العبد مرتهن يطأ الجارية)	//	122
3	صلاة العبد وخطبته وإمامته للجمعة	//	433
4	إمامة العبد في ثلاثة أوجه وإمامة الصبي	//	477
1	غزو العبد بغير إذن سيده	ج2	05
2	حصول أم الولد على الحرية	//	29
3	بيع الأسرى المسلمين وغير المسلمين	//	40
4	ضرب الأمة	//	43
5	الصداق وأجرة الكاتب في شراء الرق	//	179
6	إثبات أم الولد الكفاءة في النكاح	//	185
7	وطء الأمة والعبد	//	193
8	خدمة العبد لسيده والعكس	//	257
9	وطء أمة وابنتها	//	262
10	تزويج السيد لعبيده ذكورا واناثا	//	270
11	أشهر علامات البلوغ عند الجارية والغلام	//	280
12	العزل عن الحرة	//	322
13	تفضيل الأمة على الزوجة	//	353
14	وطء أمة بعد أن عتقها	//	355
15	عتق جوار ثلاث عند سفر مواليها	//	356
16	النفقة عن أم الولد وعن الأمة	//	357
17	أبرز أعمال يمارسها الخدم	//	358

18	اختلاف خدمة الجارية بالبادية عن الحضر	//	359
19	إضرار السيد بالمملوكة والحضر	//	421
20	الذين يتزوجن بغير إذن الأب أو السيد	//	429
21	من المسؤول عن نفقة الخادم	//	430
22	حصول الأمة وأم الولد على الاستبراء	//	431
23	العتق بالوصية على العبد المسلم	//	479
24	نيل العبد الحرية جراء عمله(بالمقابل)	//	551
25	سيد أعجب بطبخ سيده فحرره	//	552
1	البيع بالخيار للخادم ومرسله	ج3	176
2	بيع صبي لم يبلغ حد التفرقة وجارية رومية لم تبلغ الحيض	//	217
3	من إشترى خادما بدنانير أو بشعير	//	251
4	من وجد في يد خادم اشتراها مالا	//	253
5	شراء عبد ولم يبينه حتى هلك من السرقة	//	267
6	عيوب في البيع خاصة جارية معيبة	//	268
7	ممارسة التدليس في البيع العبيد أو الخادم	//	275
8	بيع جارية بحمل كاذب	//	276
9	بيع أمة وفيها عيب مما لا يطلع	//	277
10	زعم المبتاع أن مبتاعه ليس فيه عيب وأنكره	//	280
11	تبول الصبي أو العبد أو الجارية في الفراش	//	281
12	بيع عبدا ودلس سرقته وسرق سيده	//	282
13	البيع والصداق في الرقيق(عبيد)	//	284
14	رد بيع العبد الآبق والأمة تدعي الحرية	//	285
15	العيوب التي يجب الرد في بيعها من برص وجنون وجذام	//	286
16	جارية تباع وعليها حلي وثياب	//	287
17	جائز بيع الجارية عريانة(شرط)	//	289
18	التسميات التي أطلقت على الجارية	//	292
19	عيوب أخرى في العبيد والجواري(أمة)	//	296

20	رد الأمة والمملوكة قبل البيع	//	305
21	جارية رومية حسناء ولم تبلغ حد الحيض	//	306
22	الإقرار بأخذ العبد الذي في يدك بكذا	//	510
23	غصب أمة بعينها بياض فباعها	//	533
24	إجارة العبيد بطعام غير موصوف	//	557
25	تعلم الجواري والعبيد خاصة الغلمان	//	577
26	مراحل وعمر وسن التعليم وأجرته وعقوبته	//	578
27	من أخطاء الصانع والبائع في الدفع	//	658
28	ما يرى بدخول الحمام أو عدمه للخدم	//	661
29	ما يجوز ولا يجوز للدخول في الحمام	//	
1	دخول الجواري إلى الحمام مع الأمير	ج4	8
2	العبد الآبق	//	9
3	من عيوب الرقيق	//	36
4	من اشترى خادما	//	89
5	في بيع أم الولد	//	89
6	بيع عبد بعد زواجه	//	96
7	عتق الامة الحامل من سيدها المتوفي	//	111
8	وصية السيد إن مات فعبده حر	//	117
9	بيع العبد الآبق	//	150
10	عتق العبد	//	192
11	العبد القاتل وسيده غائب	//	244
12	شراء عبد ثم أبق	//	489
13	بيع مملوكة	//	500
1	تزويج أمة من مبتاعها	ج5	10
2	خدمة العبد بين شريكين	//	30
3	اختيار عتق الأمة	//	61

4	في إمراة ثلثها حر وباقيها رقيق	//	73
5	زوج أمة من حر ولها أولاد	//	73
6	عتق العبد	//	81
7	عتق العبد	//	84
8	في عتق أحد الشريكين نصيبه في عبد	//	88
9	من أوصى لعبد بمال فيبع بما له	//	
10	رد الأمة بعيب وإن ولدت رد ولدها معها	//	123
11	توبة العبد المعتق	//	124
12	خادمة تدعي الحرية أنها حرة بنت حرين	//	130
13	غلام يدعي الحرية على أنه حر بن حر	//	188
14	ادعاء العبد الحرية نسبته لبلد	//	189
15	اثبات عتق أمة إلى خمسة أعوام	//	190
16	رجل شهد أن أمته أم ولد مع شهود	//	190
17	النفقة على أم ولد مع شهود	//	190
18	النفقة على أم الولد لازمة للسيد	//	191
19	أمة قامت على سيدها أنها اسقطت منه عندما أراد بيعها	//	191
20	أمة شكت إضرار سيدها ليس بها آثار ضرب	//	191
21	مملوكة شكت إضرار سيدها وبها آثار ضرب	//	192
22	عقد وثيقة بأنها مملوكة فقامت المملوكة تزعم أنها الحرية	//	193
23	مملوكة ادعت الحرية	//	195
24	من طلب أم ولده في خدمة أبيه	//	197
25	أم ولد غاب عنها سيدها أزيد من ثمانية أعوام	//	198
26	مكاتب شكى سيده وذكر أنه أخذ بعض نجومه	//	199
1	أم الولد تبقى حملها تعتق على واطئها	ج6	5
2	الأمة نعتق عملها	//	5
3	شراء عبد ببيع فاسد	//	7
4	عقد مملوكة عتقا قبل الوفاة	//	10

5	أمة لأخوين ووطئها أحدهما	//	10
6	شريكين لجارية وعبد	//	10
7	نفقة أم الولد	//	12
8	تزويج السيد ابنته لعبده	//	13
9	موت السيد والأمة حامل	//	16
10	رجل له عبدان	//	17
11	فساد المدبرة بالزنا فلا تباع حتى تؤدب	//	19
12	وثيقة عقد مملوكة وزعمت أنها حرة	//	20
13	عبد يدعي الحرية	//	23
14	مملوكة تدعي الحرية	//	24
15	مملوكة قامت على سيدها وزعمت أنها أسقطت منه	//	29
16	اقامة السيد الحد على عبده	//	144
17	من وطئ ثم وطئ	//	146
18	من سرق العبد مال سيده	//	155

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

كتب الحديث

1- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق1422هـ.

2- المباركفوري، محمد عبد الرحمان بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1990م.

المصادر

3-البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح تق: محمد الحبيب الهيلة،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

4-البركتي، محمد عصيم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

5-البستاني بطرس، محيط المحيط، د.ط، مكتبة لبنان، د.م.ن، 2008م.

6-البكري، أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.

7-التسولي، أبو الحسن علي عبد السلام، البهجة في شرح التحفة على الأرجوزة المسماة بتحفة الحكام، ضبط تص: محمد عبد القادر شاهين، ج1، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

8-التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الله الحميد الهرامة، ط2، دار الكتاب، طرابلس، 2000م.

9-الثعالبي، عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م.

10- الجاحظ، أبي عثمان بن عمرو، كتاب المحاسن والأضداد، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1324هـ.

11- ابن حجر العسقلاني، فتاوى في العقيدة، تح: محمد تامر، ط1، دار الصحابة للتراث، د.م.ن، 1989م.
12- أبو الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأندلسي، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضايا والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق الجديد، بيروت، 1403هـ/1983م.
13- حلولو، أحمد بن عبد الرحمان اليزليتي، مختصر فتاوى البرزلي، اعتنى به الفضل الدمياطي، أحمد بن علي،ط1، دار بن جزم، الدار البيضاء، 2011م.
14- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، مج1، د.ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.
15- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، د.ط، مكتبة لبنان، لبنان، 1975م.
16- ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض، د.ط، مكتبة الحياة، لبنان، 1992م.
17- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، د.ط، مطبعة بزيل، لندن، 1889م.
18- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح: أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2017م.
- تاريخ بن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، د ط، دار الفكر، لبنان، 1421هـ/ 2000م.
19- ابن أبي الدينار، أبو عبد الله القيرواني، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية، تونس، 1286م.
20- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، كتاب تذكرة الحفاظ، ج2، د.ط، د.د.ن، د.م.ن، د.س.ن.
21- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، د.ط، مكتبة لبنان، د.م.ن، 2008م.
22- ابن رشد القرطبي أبو الوليد محمد بن أحمد، البيان والتحصيل والشرح والتعليل في المسائل المستخرجة، تح: محمد حجي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1044هـ/ 1984م.

- فتاوى بن رشد، تح: مختار بن طاهر التليلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
23- الرصاع، أبي عبد الله محمد الانصاري، فهرست الرصاع، تح: تع محمد العنابي، دط، المكتبة العتيقة، تونس، د.س.ن.
24- الزحيلي وهبة، سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، ط1، دار المكتبي، دمشق، 2001م.
25- الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، د س ن.
26- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المتعربين والمستشرقين، ج5، ط15، دار العلم، بيروت، 2002م.
27- الزهري، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.س.ن.
28- أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي، الدباغ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: عبد الخيالي، ط1، د.د.ن، بيروت، 1426هـ.
29- أبي زيد القيرواني، أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تح: عبد الفتاح محمد الحلو،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.
30- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، د.ط، دار الجبل، بيروت، 1992م.
31- سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، سوريا، 1408هـ /1988م.
32- ابن سيدة، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المخصص سفر3، مج1، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان.
33- الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس، ديوان الشافعي، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1985م.
34- الشرازي أبي إسحاق، طبقات الفقهاء، د.ط، مطبعة بغداد، بغداد، 1356هـ.
35- الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر محمد المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس.

36- ابن عظوم، أبي القاسم بن محمد مرزوق، كتاب الأجوبة، تح، تق: محمد الحبيب ميلة،ج1، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب بيت الحكمة، تونس.
37- أبو العينين سعيد، حكايات الجواري في قصور الخلافة، د.ط، د.م.ن، د.س.ن.
38- أبو العماد، شهاب الدين العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، ط2، دار الميسرة، بيروت، 1399هـ/1979م.
39- ابن فارس، أبي الحسين أحمد، معجم مقايس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3، د.ط، دار الفكر، د.م.ن، د.س.ن.
40- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق تح: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، د.ط، د، الدار التونسية للنشر، تونس، د.س.ن.
41- القرافي، بدر الدين محمد بن يحي بن عمر، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003م.
42- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، د.ط، وزارة الأوقاف الإسلامية، المغرب، 1993م.
43- ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، إخ: عبد المجيد جبالي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
44- ابن مريم، أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مر: محمد بن أبي شنب، د.ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1362هـ/1908م.
45- مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواي، محمد محفوظ، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
46- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم فهارس لسان العرب، إع عبد الله علي كبير وآخرون، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.س.ن.
- لسان العرب، مج11، د.ط، دار صادر، بيروت، د.س.ن.

47- الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

48- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب، البلدان، د.ط، د.م.ن، د.د.ن، د.س.ن.

49- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، د.م.ن، 2005م.

المراجع

50- إبراهيم القادري، الإسلام السري في المغرب العربي، ط2، سينا للنشر، مصر، 1995م.

51- إبراهيم جدلة، مجتمع المدينة ودولة السلطان بإفريقية البلاد التونسية في العهد الحفصي 1227م-1574م، د.ط، د.د.ن، د.م.ن، د.س.ن.

52- أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية في العهد الحفصي، د.ط، دار المعارف، تونس، د س ن.

53- أحمد بن عامر، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، د.ط، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م، ص18.

54- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2001م.

55- إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في الجموع، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004م

56- الترمانيني عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1979م.

57- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، ج1، د.ط، دار الكتاب، دار البيضاء، 1418هـ/1997م.

58- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، ط14، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968م.

59- حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تق تح: حمادي الساحلي، د.ط، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001م.

60- حسن يوسف موسى، عبد الفتاح الصعيدي، الإفصاح في فقه اللغة، ج1، ط3، مكتب الإعلام الإسلامي، د.م.ن، 1404هـ.

61- حمداوي جميل، فقه النوازل في الغرب الإسلامي(نحو مقاربة تأصيلية)،د.ط، د.س.ن، المملكة العربية السعودية.

62- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609هـ(1212-1465م) د.ط، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2009م..

63- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

64- سولاف فيض الله حسن، دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2013م.

65- شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، ط5، دار الفكر، سوريا، 1982م.

66- عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2004م.

67- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـ /2005م.

68- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب[من لندن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين][مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب] ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1368 هـ/ 1949م.

69- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ/1983م.

70- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج8، د.ط، مطبعة الترقي، دمشق، 1387هـ/1959م.

71- كريم علي الخزاعي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، د.ط، الدار العربية للموسوعات، د.م.ن، د.س.ن.
72- كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997م.
73- لمارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي زبير، وآخرون، ج3، دار المعرفة، د.ط، الرباط، 1408-1409هـ/1988 -1989م.
74- محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في الغرب الإسلامي، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1986م.
75- محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.
76- محمد حجي، نظرات في فقه النوازل الفقهية، ط1، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1999م.
77- محمد رواس قلعة جي، حامد صادق قيبي، معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس، بيروت، 1416هـ/1996م.
78- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
79- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
80- وفاء الدريسي، الجواري والغلمان في الثقافة الإسلامية مقارنة جذرية، ط1، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، 2016م.
81- ياسمين عيسى العاملي، الاصلاحات في الرسائل العلمية، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، د.م.ن، 1410هـ.

الرسائل والمجلات العلمية

82- أحمد منصور، استرقاق الأسرى وأثر ذلك في العلاقات بين دول المغرب وأوروبا خلال القرن الثامن ميلادي، مج7، ج1، مجلة عصور، دار المريخ للنشر، لندن، 1412هـ/1992م.

83- سامية يخلف، الأعياد والاحتفالات في الغرب الاسلامي من القرن 2هـ/9م إلى 9هـ/15م، رسالة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة 8ماي 1945، الجزائر، 1438هـ/2016م.

84- سفيان قعيد، الزواج في الغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار المعرب للونشريسي، أطروحة دكتوراه، تخصص بلاد المغرب الوسيط ، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 1442هـ-1443هـ/2021م-2022م.

85- فاطمة بوزاد، حرفة النخاسة في المغرب الوسيط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين جوانب من التاريخ المسكوت عنه، دورية كان التاريخية، ع3، سبتمبر 2021م.

86- نوارة شرقي، لمحات من الواقع الثقافي للجواري في الغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين، مج6، ع2، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقية، جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان 2023م.

87- هشام البقالي، المؤلفات النوازلية للفقهاء المالكية بالغرب الإسلامي دراسة ببليوكرونولوجية، مج3، ع2، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، سبتمبر 2020.

المواقع:

88- عائد عميرة، كيف حكم الحفصيون تونس لأكثر من ثلاثة قرون، https://www.noonpost.com، اطلع عليه بتاريخ 2024/09/13 على الساعة 00:00.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
إهداء	–
شكر وعرفان	–
مقمة	أ
مدخل لمحة تاريخية على الدولة الحفصية	
1- أصل الحفصيين وتأسيس الدولة	7
1-1 أصلهم	7
1-2 تأسيسها	8
2-حدودها و أوضاعها	9
2-1 الامتداد الجغرافي	9
2-2 الوضع السياسي والعسكري	9
2-3 الوضع الاقتصادي	11
2-4 الوضع الاجتماعي	11
3- سقوطها	12
الفصل الأول: الإمام البرزلي وكتاب الفتاوي	
المبحث الأول: ترجمة الإمام البرزلي	15
1- حياته الشخصية	15
1-1 مولده ونشأته	15
1-2 بيئته وعصره	16
2-حياته العلمية	17
2-1 رحلاته	17
2-2 شيوخه وتلاميذه	18
2-2-1 شيوخه	18
2-2-2 تلاميذه	19
3-وفاته	21

4-مصنفاته وآثره	21
المبحث الثاني التعريف بكتاب جامع الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام	22
1-اسم الكتاب والغرض من تأليفه	22
1 -1 اسم الكتاب	22
2-1 الغرض من تأليفه	22
2-محتوى الكتاب ومصادره	23
2-1 محتوى الكتاب	23
2-2 مصادر الكتاب	23
3-منهجه وقيمته العلمية	26
3-1 منهجه	26
3-2 قيمته العلمية	26
المبحث الثالث: أهمية النازلة في الكتابة التاريخية	29
1-تعريف النازلة	29
1-1 لغة	29
1-2 اصطلاحا	29
2-أهمية وخصائص النازلة في الكتابة التاريخية	30
2-1 أهمية النازلة	30
2-2 خصائص النوازل	30
2-2-1 الواقعية	30
2-2-2 المحلية	31
2-2-3 التجديد	31
2-2-4 تنوع التأليف	31
الفصل الثاني: الحياة الخاصة للجواري والعبيد من خلال كتاب البرزلي	
1-الجواري لغة واصطلاحا	34
1-1 الجواري لغة	34

2-1 الجواري اصطلاحا	34
2-العبيد لغة واصطلاحا	35
2-1 العبيد لغة	35
2-2 العبيد اصطلاحا	35
3-مسميات الجواري والعبيد	36
3-1 تسميات الجواري	36
3-2 تسميات العبيد	37
المبحث الثاني: مصادر جلبهم وطرق بيعهم	40
1-أبرز مصادرهم	40
1-1 الحروب	40
1-2 التجارة	40
1-3 الفقر والدين	41
1-4 الخطف	42
2-مسالكهم	42
3-طرق بيعهم	43
المبحث الثالث: معيشتهم ومكانتهم	46
1-معيشتهم	46
1-1 الأكل واللباس	46
1-2 مسكنهم وزواجهم	47
2-مكانتهم	49
2-1 نظرة الفقهاء والعلماء	49
2-2 نظرة السلاطين والأمراء	50
2-3 نظرة عامة الناس	51
الفصل الثالث: الجواري والعبيد في الحياة العامة	
المبحث الأول: أهم مساهماتهم	54
1- الدور السياسي والعسكري	54

1-1 مكانتهم سياسيا	54
1-2 مكانتهم عسكريا	55
1-3 مشاركتهم في الأعياد والاحتفالات	56
2-الدور الاقتصادي	57
2-1 الزراعة	57
2-2 الصناعة	58
2-3 التجارة	59
3-الدور الاجتماعي والثقافي	59
3-1 الخدمة الاجتماعية للأسياد	60
3-2 التنشئة والتعليم	61
3-3 النظافة والتداوي	64
المبحث الثاني: نماذج مختارة من نوازل البرزلي	64
1-مسائل من البيوع	64
2-مسائل من النفقة والعتق	64
خاتمة	70
الملاحق	72
قائمة المصادر والمراجع	81
فهرس الموضوعات	89
الملخص	-

الملخص:

تناولنا في هذا البحث موضوع الجواري والعبيد في العهد الحفصي من خلال كتاب فتاوى البرزلي (جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام) وتوضيح الغموض على حياة الجواري والعبيد في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، فاعتمدنا على استقراء المسائل(النوازل) الفقهية واستخراج المادة التاريخية منها والتي تعلقت بالجواري والعبيد، كما عرضنا حياتهم العامة وأهم مسمياتهم ومعيشتهم في هذه الفترة بالإضافة إلى مصادرهم وطرق بيعهم كما تطرقنا لنظرة السلاطين والفقهاء وعامة الناس وفي الأخير عرضنا الأدوار التي قد مارسوها بمختلف جوانبها وتحقيق مكانة مرموقة لهم.

كلمات مفتاحية: الجواري– العبيد – فتاوى– البرزلي – النوازل– العهد الحفصي.

Abstract: In this research, we discussed concubines and slaves in the Hafsid era through the book of Fatwas of Al-Barzili (Collection of Rulings Issues Regarding Issues Issued by Muftis and Rulers) and clarified the ambiguity surrounding the lives of concubines and slaves in the countries of the Islamic Maghreb during the Middle Ages. We relied on extrapolating jurisprudential issues (news) and extracting historical material from them related to concubines and slaves. We also presented public life and their most important characteristics, names, and livelihood during this period, in addition to their sources and methods of sale. We also touched on the view of the sultans, jurists, and the general public, and finally the roles they played in various aspects in order to integrate and achieve a prestigious position for themselves.

Keywords: Concubines, Slaves, Fatwas, Al-Barzili, News, Hafsid era.